

العدد السادس

من

السنة السادسة

# المجلة الجبيلة

صاحبها ومحررها

سرم موسى

المجلد السادس

يونيو ١٩٣٧

## سيرة الأحداث

كان الشهر الماضي حافلا بالحوادث الحسام في تاريخ مصر . فقد انقضت الامتيازات وانضمت مصر الى عصبة الامم وعن قريب سيتم الفناء صندوق الدين . وبهذه الاجراءات لا يتم لمصر استقلالها الذي فقدته سنة ١٨٨٢ فقط بل هي تسترد استقلالها الذي ا فقدتها بعضه الخديو اسماعيل بتهوراته المالية التي انحمرت صندوق الدين والرقابة الاجنبية كاستماد اليها حريةها في معاملتها الاجانب التي قيدت منذ ايام احتلال الاتراك لمصر سنة ١٨٨٢ لان الامتيازات الاجنبية ترجع الى ذلك التاريخ . فنحن منذ الان احرار في فرض الضرائب على الاجانب وفي ايجاد مجلس بلدي للقاهرة وفي غير ذلك من الاعمال التي كنا الى الآن عاجزين عن القيام بها لقيود الامتيازات

وكل مصري الآن مسئول امام نفسه وامام العالم على ان يعم العدل بلاده وعلى الا يشب طاغية الى كراسي الحكم وعلى ان تكون مصر خادمة للرق البشرية العام كاهو مسئول عن حرية المرة وحقوق العامل وعن الصحة العامة والثقافة المصرية . وهو اذا قدر كل ذلك صار استقلال مصر كسبا للحضارة . اما اذا وقعت البلاد ايدي الرجعيين ووضع الاوياش السلاسل على ابواب البرلمان واعيدت السخرة الى الفلاح فان استقلالنا عندئذ لا يعد كسبا للحضارة بل خسارة عليها . فلنجاهد الرجعيين كجاهدنا الانجليز بل باشد مما جاهدنا الانجليز . فان الانجليز كانوا متمدنا ولكن الرجعي عدو متوحش

محنة اسبانيا

لا تزال اسبانيا تأكل نفسها ويناحر ابناءؤها . وقد مضى على الثورة الى الان اكثر من عشرة اشهر والنوار يستولون على اكثر من نصف اسبانيا ولكن ليس هناك مع ذلك ما يؤمى الى

انتصارهم التام . فان الوزارة الاسبانية بعد ثورة القوضيين قد استقالت والقت وزارة جديدة برئاسة الدكتور نيجرين وهو اشتراكي معتدل ( وفي الاصل عالم بيولوجي ) وليس في الوزارة الجديدة فوضوى واحد . فهى من حيث اللون السياسي اشتراكية معتدلة . ولكن يخشى ان يقوم القوضويون بثورة جديدة لحرماتهم من كرامى الحكم . وخاصة لان الوزارة شرعت تنزع منهم السلاح وعندئذ يسهل على فرانكو ان يتغلب على الحكومة

ولباو في الشمال حيث الباسكيون توشك ان تسقط . فاذا انتهى فرانكو منهم امكنه ان يوجه قوات كبيرة الى الان مربوطة حول بلباو الى الجبهة الشرقية لمقاومة الحكومة : وعندئذ ترجح كفته . ولكن الانتصار سيبقى مع ذلك بعيدا لما لم ينشق الحكوميون على انفسهم . وهذا الانشقاق يخشى منه كثيرا لان القوضيين حاقدون على الوزارة الاسبانية الجديدة

وتجرى مساع مختلفة لعقد هدنة بين الحكومة والثوار . ولكن من البعيد جدا ان تقبل الحكومة وقف القتال لانها تنتظر النصر بقوة ما لديها من الاموال اذ عندها ما لا يقل عن سبعين او ثمانين مليون جنيه . وقد اقيمت رقابة من الدول الكبرى لمنع المتطوعين الاجانب من الالتحاق بحيوش الحكومة او جيوش الثائرين وهى ناجحة في هذا المنع . وهذا النجاح يعزى الامل عند الحكوميين بالنصر

## احتراق هندنبورج

من فواجم الشهر الماضى احتراق البلون الالماني هندنبورج الذى كان يسافر بين اوربا وامريكا وقد قتل فيه ٣٤ منهم قائده الباسل ارنست ليان . ولم تعرف الى الان اسباب احتراقه . وقد صرح الطيار اكنر بأنه لم يستعمل غاز الهيدروجين فى المستقبل لانه يشتعل . وسيستعمل بدلا منه غاز الهليوم وهو اغلى منه ثلاثين ضعفا . وما يدل على همة الالماني ان الجنرال جورنج فى غداة احتراق البلون هندنبورج امر ببناء بلون جديد

## فى الخارج

استقال المستر بولتون من رئاسة الوزارة الانجليزية واخذ مكانه المستر تيمبلن ماتروكفيلد ملك البترول فى الولايات المتحدة بعد ان قارب المائة . ويقال ان تبرعاته للبر قد بلغت نحو ١٥٠ مليون جنيه  
شعرت ايطاليا بخطر المباراة فى القوة الحربية مع بريطانيا فاقترح موسولينى على الرئيس روزفيلت عقد مؤتمر لتحديد السلاح

## مجلة للمالوم

يجدر بالحكومة المصرية ان تتأمل بعض المجلات التى تصدرها الحكومات . فان مجلة « البحث

والتقدم» من المجالات الألمانية التي تصدرها الحكومة لكي يقف الجمهور على التقدم العلمي بالوانه المختلفة . واما ما العدد الاخير وبه من المقالات . « مهاجرات السلالات البشرية » و« التأثيرات البيولوجية » للسكول في التتمثيل الغذائي ) و« انتاج البترول في العالم » و « علاقه السكرى بالغدة النكفية » و « الهيموفيليا » وهل هي مرض وراثي الخ وهذه المجلة تنشر الابحاث التي تقوم بها المعامل الألمانية . وهي لا تقتصر على علم معين بل تتناول جميع العلوم . وتحسن حكومتنا لو درست هذه الفكرة وأصدرت مجلة جامعة للعلوم

### فرح انطون

في الشهر القادم يكون قد مضى على وفاة فرح انطون خمسة عشر عاما . ويحسن رجال الادب الذين يعرفون فضل هذا الاديب العظيم في النهضة الحاضرة ان يحتفلوا به . فان في الاحتفال تنويه بالوان التجديد التي قام بها في توجيه الادب الحديث نحو الثورة واعترافا بفضلها على التفكير المصري ونحن لا نعرف اديبا ممن يؤبه بهم في مصر لم يتأثر بأحسن التأثيرات من فرح انطون . وكثير من النزعات الحسنة في ادبنا يعود اليه . وقد كان دأبنا في كل فرصة ان نعتز بفضلها ولقدك نحن ننتهز الفرصة الحاضرة لتنبية الوجدان الادبي في مصر الى ضرورة الاحتفال بمرو خمسة عشر عاما على وفاته

ARCHIVE

http://Archivebeta.Sakhriddin.com



صاحب الجلالة الملك  
جورج السادس وصاحبة  
الجلالة الملكة  
وقد تم تنويعها في  
الشهر الماضي بين مظاهر  
الفرح العامة بين الشعب  
البريطاني



# اختلاط الجنسين

للاستاذ صلاح الدين كامل

عندما قال الدكتور طه حسين — في سياق الرد على دعاة تلك الحركة السخيفة الطائشة التي قامت تطالب بالفصل بين القتيان والفتيات في الجامعة — أنه ليس في كتاب الله ولا في سنة رسوله ما يحرم اختلاط الجنسين ، قام الرجعيون من رجال الازهر وقعدوا وتوالت مقالاتهم على صفحات الجرائد والمجلات طويلة متشابهة مئة طنانة جوفاء . والآن وقد أفرغوا كل مافي جعبتهم وهذأت العاصفة ، ها أنا ذا أعيد كافة ما قدموه من أدلة موضعا أن ليس فيها دليل حقيقي واحد على أن الاسلام يحرم الاختلاط

ويجب أولا في مثل مانحن بصدده من بحث أن نبحر القارق الكبيرين ماورد في القرآن الكريم وماورد في الحديث النبوي الشريف . فالقرآن ثابت « لا بآتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » نزله الله على عباده وحفظه من عبث العائنين « انا نحن نزلنا الذكر وانا له حافظون » وما ورد فيه على المسلمين أن يتبعوه . أما الأحاديث النبوية فعلموه أنه قد اختلق منها الكثير مما يجعلنا في حل من أن لا نقبل كل حديث يأتيه به سادتنا الرجعيون إلا بعد الفحص والتحصيص ، لا على ضوء النظرية القديمة فقط من « علم الحديث » التي تعتمد في التثبت من صحة الحديث على تعدد الرواة أو الثقة بهم ، وانما أيضا على ضوء النظرية السيكلوجية الحديثة التي تقضى علينا بأن لا نقبل حديثا مرويا عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ما لم يلتزم مع البيئة والظروف التي أحاطت بمحمد ويتناسب مع ماعرف عن نفسيته السامية وعقليته العالية وأسلوبه الحكيم في الأقوال والأفعال . كما أننا يجب ألا نهمل في بحثنا عن حقيقة تعاليم ديننا الاسلامي تلك الحوادث والأخبار التاريخية المعروفة في صدر الاسلام .

\*\*\*

لم يأت لنا جماعة الازهريين الذين تعرضوا لرد على الدكتور طه حسين ، رغم شدة تعجبهم من قوله أن الاسلام لا يحرم اختلاط الجنسين واتهامهم إياه تارة بالجهل وتارة بالمغالطة ، سوى بآيتين اثنتين من القرآن زعموا أنهما تقضيان بتحريم الاختلاط . وهاتان هما الآيتان :  
« يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ، وكان الله غفورا رحيما »

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون  
وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدین زینتهن إلا ما ظہر منها »  
وأظننى لست فى حاجة الى التدليل على أن هاتين الآيتين ليس فيهما سوى الدعوة الى الاحتشام  
والعفة والنهى عن التبرج والتهتك . وليست الجامعة دار تبرج وتهتك وليس التبرج والتهتك  
موضوع ما بيننا وبين دعاة الفصل بين الجنسين من خلاف

أما استشهاد بعض الاساتذة الاعلام على أن القرآن يحرم الاختلاط بتلك الآية التى تقرر مبدأ  
من مبادئ الاداب العامة فى الاسلام وهى : « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم  
حتى تستأذنوا » وقولهم فى ذلك أن ليس النهى عن الدخول قبل الاستئذان للخوف على  
الجدران أن تنهار ولا على الارض أن تعيد وانما هو لئلا يقع النظر على النساء .... فهو منطق غريب  
كأن البيت الذى ليس به نساء يحق لكل انسان ان يدخله دون استئذان !!

وأما استشهاد البعض على تحريم الاختلاط بآية : « ولا تقربوا الزنا ... » بحجة أن الله  
عند ما نهى عن الزنا جعل النهى منصبا على كل ما يؤدى اليه وأن الاختلاط يؤدى الى الزنا ، فهو  
منطق أغرب وتعسف ظاهر لا يحتاج الى نقاش  
ARCHIVE  
http://Archive.org/Sakhrit.com  
(\*)

أما الاحاديث النبوية التى استشهد بها على منع الاختلاط فهى كثيرة ويجب أن نأخذها  
بمحذر لما قدمت فى صدر كلامى من أسباب . وأن هذه الاحاديث هى الآتية :

« قال النساء للنبي . غلبنا عليك الرجال ، فاجعل لنا يوما من نفسك . فوعدهن يوما لقيهن  
فيه فوعظهن » وهذا الحديث يؤيد رأينا فى جواز الاختلاط ولا يؤيد العكس ، اذ أنه يدل على  
أن النساء كن يجتمعن مع الرجال حول النبي لسماع وعظه دون أن ينهاهن النبي عن ذلك . ولكن  
بعضهن تضايق من زحام الرجال واستقلائهم على المجلس ، فطلبن الى النبي أن يخصهن لهن يوما حتى  
تسمع لهن الفرصة لسماع كل مايقول وسؤاله والاستفهام منه عما يغمض عليهن ، فوعدهن النبي  
بذلك وأنجز وعده وكان طبيعيا أن يفعل النبي ذلك بحكم أدبه واحترامه للمرأة وحرصه على تفهم  
التعاليم التى آتى بها لرجال والنساء على السواء

« لأن يظمن فى رأس أحدكم بخيط من حديد خير له من أن يمس امرأة لا تحل له » وظاهر  
أن المقصود بهذا الحديث هو الدعوة الى العفة ، واللمس المشار اليه فيه ليس اللمس بمعناه اللغوى  
الضيق وهو ما يحدث فى المصافحة أو جلوس رجل الى جانب سيدة مثلاً ، وانما هو اللمس الذى

يتنافى مع العفة أو العس بالمعنى المفهوم من قوله تعالى في سورة مريم . « قالت انى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا »

« لأن يزاحم الرجل خنزيراً متلعلخا بطين أو حمأة خير له من أن يزاحم منكبه امرأة لا تحمل له » وإذا صح هذا الحديث

فليس المقصود به هو المزاومة التى تأتى عفوا من وجود الرجال والنساء فى مكان واحد ، وإنما قصد به ولاشك النهى عن التحكك بالنساء عمدا وانتهاز فرصة الزحام لهذا التحكك كما يحدث عندنا فى زحام الموالد مثلا ، وهو ما يشاهده بطبيعة الحال اخواننا الأزهريون

« كان الفضل رديف رسول الله معه فجاءت امرأة من خنعم فجعل الفضل ينظر اليها وتنظر اليه ، وجعل النبى صلى الله عليه وسلم يصرف وجه الفضل الى الشق الآخر » وطبيعى أن يفعل النبى ذلك وأن يتضايق من أن يتخذ من مجلسه مكانا للمغازلة أو ما يشبه المغازلة . ولا ادري ماهو وجه الدليل على منع الاختلاط من هذا الحديث ١

« أجبِعوا النساء جوعا غير مضر واعروهن عرياً غير مبرح . لأنهم اذا سمن وا كتمين فليس شىء أحب اليهن من الخروج وليس شىء شر اليهن من الخروج . أما اذا أصابهن طرف من العرى والجوع فليس شىء أحب اليهن من البيوت وليس شىء خيرا لهن من البيوت » والشخص الذى درس أحكام الاسلام فيما يتعلق بالمرأة قرأ ولو قليلا من سيرة محمد وأحاديث محمد يكاد يجزم بعدم صحة هذا الحديث . اذ لا يعقل أن يقول محمد كلاما مثل هذا فيه منتهى الامتنان للمرأة التى رفع مكانتها وقرر شخصيتها . فضلا عما فيه من المخالفة لروح القرآن وتعاليمه وقد جاء فيه « ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا اليها وجعل بينكم مودة ورحمة »

أما الاستدلال على منع الاختلاط بين الجنسين بمحدث الرسول فى النهى عن بقاء النساء بجانب القبور « أرجعن مأزورات غير مأجورات » بحجة أن هذا النهى لم يكن طبعيا للخوف عليهن من الاموات وإنما لمخطورات أخرى أوضحها تعرضهن للاجانب ١ . . . . أو القول بأن علماء الاسلام قد أجمعوا على أن لا تبدى المرأة للطبيب من جسمها الا بمقدار ما تمس الحاجة ، كأن دة الاختلاط يقولون ان على المرأة التى تذهب الى الطبيب لعمل حقنة فى ذراعها مثلا أن تتجرد من كل ثيابها ١ . . . الى آخر تلك السفسة التى ملأ بها اساتذتنا الاعلام صفحات الجرائد والمجلات . . . .

فهى أشياء يصح أن تورد من باب التفكه لا على انها كلام جدى يستحق الرد عليه وإذا رجعنا الى الحوادث والاخبار المتواترة عن صدر الاسلام ، لوجدنا الدليل ساطعا على ان المرأة فى هذا العصر الزاهر كانت تختلط بالرجل ولم تكن لتعرف هذا الحجاب الذى ساد فى عهد

المحطات المسلمين وتدهورهم والذي يريد سادتنا الرجعيون أن يجعلوه - زورا وبهتانا - جزءاً لا يتجزأ من الدين

ومن المعروف أن نساء المسلمين كن يخرجن في غزوات النبي وفي فتوحات المسلمين الأولى لبشجعن الرجال على الحرب ويضمنن جروح المصابين ويقمن بالتمريض والمواساة ، وهو شيء لم يمتدح به للمرأة الإنجليزية الا في سنة ١٨٧٠ في أثناء حرب القرم عقب ذلك الجهاد العنيف النبيل التي قامت به الأتية ليتنجيل كما هو معروف في التاريخ الحديث اقبل هذا يدل على ان الاسلام يقضى بحجاب المرأة ومنع اختلاطها ١٤

ومن الحوادث المعروفة حادثة تلك المرأة التي ناقشت أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في المسجد حول مسألة تتعلق بحكم الاسلام فيما تأخذ النساء من مهور وقد أفجحت تلك المرأة عمر بالحجة حتى قال : « لقد أخطأ عمر وأصاب امرأه » فهل مثل هذا الحادث يعد دليلاً على أن نساء المسلمين كن محجبات لا يختاطن بالرجال ولا يعرفن من أمور الحياة سوى ما يتماق يشؤون البيت ؟

كانت عائشة أم المؤمنين زوج النبي وابنة أبي بكر الصديق فقيهة وعالمة يلجأ اليها المسلمون من كل صوب يتلقون منها اصول الدين ، وقد قال النبي في حباته مشيراً اليها « خذوا نصف دينكم من هذه الخيرة » كما كانت فوق ذلك خطيبة وقائدة ، ومن أشهر خطبها خطبتها في مكة على أثر قتل عثمان مطالباً بدمه ، وهي تلك الخطبة التي جمعت على أثرها جيشاً عدده ثلاثون ألفاً قادته بنفسها في قتال على في واقعة الجمل المشهورة ! فهل يعقل أن تعمل عائشة كل ذلك وهي متحجبة متروية لا ترى أحداً من الرجال ولا يراها احد ١٥

وكانت السيدة سحكيبة بنت الحسين من أوفر النساء ذكاء وكالا وأدبا ومن أكثرهن جمالا وأناقة وفلرا . وكان يتهنأ صالونها من أفخم وأزهى الصالونات الادبية يؤمه صفوة رجال الآداب والفتون يستفيدون من سعة اطلاعها وحسيف فقهها ويأتمنون بآدابها وطررها ، فهل كانت السيدة سكيبة تستقبل الزائرين من الشعراء والأدباء وغيرهم الذين كانوا يقدون على منزلها من جميع الأنحاء وهي محتفية من وراء حجاب ١٦

واكتفى هذه الامثلة القليلة التي شرحتها في اقتضاب للتدليل على أن المسلمين من صدر الاسلام ما كانوا يعرفون الحجاب بالمعنى الذي قسره به بعض الفقهاء فيما بعد والذي يريد الجامدون ان لا يحد عنه ولو قضينا في سبيل ذلك على مظهر من مظاهر التقدم في البلاد

# أدب الرافعي وكتبه

دراسة مريضة — بقلم الأستاذ اسعد حسني

سئل مرة « برناردشو » الكاتب الانجليزي الاشهر ، عن الاديب فقال : « هو من يستطيع أن يخلق الحياة من العدم ، كما تخلق الطبيعة سواء بمواء ... بل هو من يفضلها ويسمو عليها فإذا كانت الطبيعة قد خلقت الانسان ، فعليه هو وحده أن يخلق السمرمان ... »<sup>١</sup>

وعلى هذه القاعدة نتناول بالحديث المرحوم الأستاذ الرافعي — طيب الله ثراه — كأديب ، ونعالج الكلام عن مدى ما خلفته كتبه الكثيرة من الاثر في النفوس ، ومدى ما تنطوى عليه هذه الكتب من مظاهر الحيوية والبقاء ...

ونحن نحب قبل كل شيء أن نقرر هنا في سياق هذه الدراسة العاجلة فداحة الخسارة التي منيت بها أسرة « الادب القديم » بوفاة السيد مصطفى الرافعي . فقد كان رحمه الله من أعلامه البارزين . وموت الرافعي في سنة ١٩٣٧ ، أي خلال الثلث الثاني من القرن العشرين ، الذي نعيش فيه محنوفين بجميع مظاهر الحضارة والنور ، خليق بأن يجعل الكلمة التي تقرر عنه ، تنطوى على شيء من قسوة الحقائق ومرارتها ...<sup>٢</sup>

حاش الرافعي وهو يعالج الكتابة ، في الادب العربي . والشعر — زهاء اربعين سنة ، أخرج خلالها طائفة من الكتب ، سنتناولها بالحديث والذكر فيما بعد ، وظل وهو يفاخر طيلة هذه الاعوام بأنه رمز للرجل المحافظ على القديم ، ضد غارات الجديد . وقد عرف بذلك كيف يناوش كل كاتب من الذين يترجمون الادب الحديث ، وكيف يرميهم بالدع الالفاظ ، وينعتهم بالصفات المعيبة ، حتى ولو بالسفر ، والخروج عن القومية ، والحياة الوطنية ، وهو لا يبالي ، مادام الفرض الجوهري من كل هذا — ان يكون هو « بارعا » في ابراز كلامه « البليغ » متقننا في توشية أسلوبه البياني المحكم بالزخرف الزائد ، والجمال الظاهري الذي يأخذ بمجامع القلوب ، حتى وان صرفه عن الهدف الحقيقي ، او جعله يقتصر عن النفاذ الى المعنى المقصود !

وكان الرافعي ، ومعه انصار مذهبه القديم ، يضحون بالمعاني المفيدة — كما قلنا — من أجل « سبعة » لطيفة ، ويستهيئون بكرامة الادب ، وهو وظيفة الحياة ، لكي يقال عنهم « بلغاء » و « بارعون »<sup>٣</sup>

كان أهل القديم لا يفهمون من الادب ، الا انه الاسلوب اللفظي الانيق ، لانهم مقلدون . وكانو يستعينون على ذلك بتقليد « الحريري » و « الهمداني في المقامات » و « ابن معنوق » و « ابن



أوس » في إيراد المعاني شعراً .. ولذلك لم تكن المعاني التي تنطوي عليها كتابات هؤلاء إلا الواناً عجيبة ، متنافرة لا تناسب فيها ولا اتساق ، فتأخر الفكر وانحط الذوق ... وثار أنصار الجديد الذين أقلعوا عن التقليد ، وحرروا نفوسهم وعقولهم من القيود البالية ، وطاشوا في صميم الحياة وأخذوا يوجهون الادب العربي ، الى الاتجاهات الحديثة ، التي رسمها اعلام البيان في العوالم الراقية المتعدنية !

ومن هنا نشبت الخصومة بين الرافعي ، رمز القديم ، وبين أنصار الجديد ، الذين لم يروا في انتاجه غير ضرب من التقليد والفناء في الغير ، دون تحرير العقل والشعور . ولأرب أن الانسان عندما يشرع في التعبير عن عواطف غيره دون أن يسكب روحه ، وعواطفه يتلاشى فنه وتقنى ذاته ، وينصرف عن بلوغ السكال . حتي وان اتخذ لذلك احسن الوسائل . واعظم الطرائق .. وهذا هو الحال في ادب المرحوم الرافعي . فإنه لم يكن يفهم من وظيفة الادب الا انه رصف الالفاظ الزنانة . والجل البليغة . لكي يخفي ما وراءها من المعاني السهلة التي لو بسطت بأسلوب ادق لاثارت الضحك والسخرية . لفرط ما هي عليه من التشاهة !

وهذا هو الفرق الكبير بين القديم والحديث . أو بتعبير أوضح - بين التقليد والتجديد ! وإذا كان تأثير أنتاج الاديب في الأذهان والنفوس يعظم بمقدار ما يستقل شعوره ويسمو . وبمقدار ما يرق خياله ويتهدب فنه ويضد فإن المرء لا يستطيع أن يقرر عن « الرافعي » أكثر من أنه ادب لا يؤثر في القلوب والعقول إلا تأثيراً وقسياً . لأنه ادب مقسمات . وبديع . وجناس والفاظ منتقاة قبل كل شيء . وأما من ناحية المعاني فهو ادب ميت لا يمكن أن يخلد بحال ويبقى على الزمن

ولقد يكفي الانسان عندما يطالع للرافعي « مقالا » في صحيفة من الصحف . أو يتوفر على قراءة كتاب من كتبه الكثيرة إذا استثنينا الكتب التي تعمل بدراسة الادب العربي القديم - أن يسائل نفسه : ماذا أفاد من هذا المقال . أو بما ذا خرج من هذا الكتاب . بعد هذا الجهد الذي أحتمله وبعد هذا الوقت الذي انقضى ؟ ... فلا يحير جواباً ... ذلك لأنه يري نفسه عاجزاً عن استخلاص العبرة المفيدة أو تقرير الحقيقة الواقعة بأكثر من أنه رأى افكاراً مقيدة غير منطقية لانها اسيرة لتقليد القدماء محاولة اقتفاء مناهجهم كأنها تبارهم في ميدان سباق . وشتان ! بين المرأة واصل الشيء المنعكس عليها . بل شتان بين الحقيقة وظلها . وبين الجمال والزينة . !

حسن البداوة مجلوب بتطرية وفي البداوة حسن غير مجلوب قلنا ان ادب الرافعي لم يكن ادب معنى ، بل ادب لفظ ... وحتى أنصار الرافعي أنفسهم لم ينكروا هذه الحقائق في مراتبهم له وحتى الرافعي نفسه - رحمه الله - كان يعرف جيداً بميزات ادبه ونواحي ضعفه . وإية ذلك كله ان جميع من رموه في الصحف لم يستطيعوا ان يذكره وهم

يمددون مواهبه بأكثر من صفات البلاغة. ولقد طلبت إحدى الصحف إلى الراقمى ذاته قبل موته بزهاء شهرين أن يؤرخ نفسه على نحو ما فعل « ويلز » - فلم يسمه إلا أن يقول عن نفسه أنه « أمام البيان » وحجة العرب ومالك ناصية البلاغة ومن ذلك التمهيد نستطيع النفاذ إلى ادراك القيمة الحقيقية لكتب الأستاذ الراقمى وبحسبى أن أذكر ما هو بين يدي الآن منها وعددها ستة كتب وهي -

المساكين - حديث القمر - رسائل الأحزان - المسحاب الأحمر - أوراق الورد - على السفود « نقد تحليلي ! »

فأما كتاب المساكين؛ فقد قرأته مرتين، وأعدت قراءته أكثر بعد وفاة الراقمى، فكان رأيي فيه في هذه المراحل الثلاث، واحدا لم يتغير. فالراقمى صاحب اللفظ المسجوم البليغ، والتركيب الرنانة المنعمة، هو في هذا الكتاب، واحد لم يتغير أيضا. طغيان أسلوبه على عقله. واحتجاب الفن الحقيقي، خلف زخرفة زائدة لا معنى لها... واليك صفة منه، في الفصل الخامس، وكأن المرحوم الراقمى يصف فيه نفسه وأدبه ويتكلم عن أثر كتبه، قال أمام الأدب ! - « ولتدعني أبني من هذه الكتب ظاهرا متى انتهت إلى السماء، رأيها أكثر ما ترى الظاهرا لا معنى لها، إذ ليس هناك من الجلال إلا ما يشبه أن يكون معنى لا الفاظ له ؟ ودعني أحدثك عن الحياة بما أفهمه أنا الرجل الطبيعي من فلق الصبح، ومن روعة الشمس، ومن أقبال الليل ومن أدهار النور بما أعرفه من هذه اللغة، وبما استوحيه من هذه الاشارات التي تتحرك بها جوارح الطبيعة، وهي مزيج من لغة البقاء الأرضي الذي يريد أن ينتهي، ولغة الخلود السماوي الذي يريد أن لا ينتهي ! .. الخ .. الخ ... »

واليك قطعة أخرى من الفصل الثامن : -  
« أما الجنود فإذا رأيتهم يلتحمون قلت زلازل الأرض قد خلقت على ظهرها، وإذا شهدتهم يقتحمون خلت نفوس الكرام قد حملت على دهرها، وقد ايقنوا أن لم يكونوا الموت، كانوا للامرو من لم يبين منهم على « الفتح » بنى على « الكسر » ! . وما منهم إلا من يحمل رأسا فانه لا يملكه حتى عنق لا يدري كيف يسكه في بدن لا يعرف إلا خذه الموت أم يتركه ». الخ .. الخ ومن ذلك كله تفهم أن الراقمى - كما قلنا ونقول - كاتب « بارع » ولصكته ليس مفيدا، لأنك لو قرأت كتابه هذا ألف مرة، ما استطعت أن تخرج منه بفائدة تذكر، جلت أو هانت وكتاب المساكين الذي اخترنا منه القطعتين السالفتين إنما كتبه مؤلفة دبرحه الله - ليقيم الدليل على أن مصر والشرق لم يعقبا غراب بين رجالهما من يبذل « فيكتور هيجو » فيما خلد به ذكراه، حين أخرج للعالم كتابه الباقي على الحياة « البؤساء » - كما حدثني بذلك الراقمى نفسه في سنة ١٩٣٣ حين التقينا بدار « كوكب الشرق »

ولنتقل بعد ذلك الى « حديث القمر » و « السحاب الاحمر » و « رسائل الاحزان » و « اوراق الورد » — وهذه الكتب جميعا من طراز واحد ، اذ تناول فيها الرافعي اسرار القلب للبشري من الناحية العاطفية لانها هي عقد ينتظم فيه هذ المجموعة الاخيرة الكبيرة من كتب القرام! وقبل ان نتحدث عنها نورد بعض فقرات من كل كتاب على حدة :

قال في حديث القمر يصف ابقامة حييته . « يتخيلها ابتسامات من السعادة . كما يرى السكير المدمن في عنقايد العنب سحابة من الخمر .. »

وقال في رسائل الاحزان في الرسالة الثانية عشرة صحيفة ١٤٧ ما يأتي

« وهما مناس الدرة في لجج الحب فائق على نفسك من رقة قلبي حتى توافقي على اني لا تخرج من نفسي الا كما اريد ان تتلقاها فلا انسط ولا اتسرح بكلامي هذا الا في مكان في نفسك « فقرى من رقة ندية طرازا اخضر موقوفاً على ثوب الماء وفيه حبك بديع من اغصان الشجر يلوح طرائق طرائق وحكا حكا ! الخ .. »

وعلى هذا النسخ جري الرافعي في كتابيه الاخيرين « السحاب الاحمر » و « اوراق الورد » اللذين هما عبارة عن رسائل غرام عاطفية تطارحها شاعر صوفي ! وشاعرة روحانية — على حد تعبيره فما نصيب هذه الكتب وما اثرها وما مدى اهليتها لبقاء ؟ وما مكانها من التفكير السامي . والشعور الصادق ، او الاخلاص في التعبير الفني الصحيح ؟

بحسب القاريه الواعي . اني المنتبه غير النائم . ان يقارن في ذهنه بين صفحة من « الام فرتر » او « اعترافات لامارتين » التي ترجمها الاستاذ الزيات . وهو من الكتاب الحريصين على الاسلوب البليغ وبين جماع ما اشتملت عليه كتب الرافعي العاطفية الاربعة من المшаعر ، والاحاسيس ، وتصوير الخواج و رسم القلوب . ليدرك نصيبها من الاخلاص الحقيقي في الابداع . ولينهم من هذه المقارنة الموهبة الفكرية الصحيحة من النحط المعنوي المجذب . والشعور المزهف البصير من الكلام المزخرف الفارغ . والطبع الصادق السليم من الجمال الظاهري الذي لا قوة فيه ولا روح . ولا حياة وليس لرافعي من اثار في النقد ، غير بعض احاديث نشرها في الصحف متفرقة ، وغير كتاب اسمه على ( السقود ) وهو مجموعة مقالات نشرها قديما بمجلة العصور . ايام كانت تصدر عن ادب العقاد وشعره . وبعض ردود على ماوجه الى كتابته من النقد

ويكفي للدلالة على معرفة مدى فهم الرافعي لمهمة النقد . ان نذكر له انه اول من ابتكر في أسلوب الصحف الادبية القاطا بذئثة تشهد له بما تشهد من ذلك مثلا انه سمي العقاد « بالشاعر المراهض » وكان لا يبالى أن ينعت « بالمنفل » في معرض النقد الأدبي . وبالعبد ، في سياق النقاش الكتابي ، ويدعو عليه بأن يصاب « بالرمم الصديدي » ! وكتاب على « السقود » حافل بأكثر من ذلك من

العبارة النائية ، ولذلك صرفنا النظر عن أن نقل للقراء شيئاً منه .  
كذلك كان المرحوم الرافعي ، لا يزال في اتهام أي أدب يخالفه في الرأي بالمروق عن الدين ،  
والخروج على القومية ، كما فعل مع الأستاذ سلامة موسى صاحب هذه المجلة ...

كما كان لا يتورع بتعبير الدكتور طه حسين بأنه أعمى ، عندما بايم العقاد بامارة الشعر منذ مدة  
ليست بعيدة ... وقد جاء في إحدى مقالاته مرة . « ألا فليهلك يعقود ، أن الدكتور طه حسين  
قد وجه إليك اليوم تلكسوبة ١١ »

وكتب مرة ينتقد بيتاً من « الشعر » فجاء في مقدمه ما يأتي :—

وهذا هو البيت أولاً ليرى القراء أنه لا يستحق كل ذلك :—

شربنا وغنينا وما في عدادنا سوى شارب قد باع بالخر دنياه

النقد — « يعني أنهم كانوا سكارى . وإذا كانوا سكارى فما هي الدنيا عندهم إلا الخمر . فكيف  
اذن يبيعون بها الدنيا ؟ أظن هذا المتشاعر أي يريد معنى العامة في قولهم . باع دينه بالخر . وهذا  
كلام مستقيم ينطبق على السكير لأن الخمر ليست من الدين . بل العامة أهدى من العقاد المراحض  
إلى حقيقة المعنى لأنهم يحملون شعار الحشاشين والمكبرين هذه الكلمة . « حراب ياديا عمار  
يامخ » فكيف اذن بيعت الدنيا بالخر ولا دنيا إلا فيها عند أهلها ؟ لعله يريد أسباب المعاش كالتيجارة  
والصناعة ومحورها فتركوها واقتصرُوا على الخمر . فإذا كان هذا ممساة وقصده فهم حثالة الناس  
ورذلهم الذين لا قيمة لهم ولا منزلة كععض سفلة العامة في بعض الحانات التي يراها من يمر في  
شارع كلوت بك ١١ » اهـ .

وكل هذا لأجل بيت من الشعر ١١ فياللداب الرفيع ١١!

والخلاصة أن أدب الرافعي ، وكتبه ، لاتتم بنير زخرفة اللفظ وإن خلت من الفكرة  
والخلاصة ، أو الملاحظة الدقيقة . وأما أثرها في النهضة الحديثة ، فاني أترك الحكم عليه للقراء  
والتاريخ . غير أني أقرر حقيقة فرغ البحث منها ، وهو أن قيمة الكتب ، أنها تقدر بما تنطوي  
عليه صفحاتها من إبراز الحقائق ، وتوضي الفائدة . بعيداً عن وسائل التجميل . وبمقدار ما هي عليه  
من البساطة والصرامة . التي هي طابع هذا العصر عصر السرعة . دون الالتجاء إلى الخيال المنسجم  
أو التشبيه الرائع أو التراكيب اللفظية البليغة أو الحشو الملل . أداة الأقدمين لأن الدنيا تتجدد  
وكل أدب صادق هو من يكتب لزمانه الحاضر لا زمانه المنصرم كما كان يفعل الرافعي برحمة الله  
أوسع الرحمات ١١

# الحب . ماهو وما قيمته ؟

يقلم الاستاذ بشرى الضبع

(١)

الحب شيء والجنس شيء آخر . كلاهما ينبع من نبع خاص .

كان الناس الى عهد قريب جدا يخلطون ومازال كثرتهم حتى الآن يخلط ايضا بين هذا الصرح الكبير من العواطف الرقيقة والحنان والتماطف الذهني وبين الميل الجنسي الصرف . كانوا يظنون ان العلاقات الجنسية التي يشاهدونها في المملكة الحيوانية والنباتية ، مظهر من مظاهر الحب . وكانوا يتوهمون ان الحب صفة أولية من صفات البروتوبلاسم . وكان كثير من الشعراء الأفدمين يقولون في شعرهم . ان نعيم الحب ينمى الطبيعة كلها . ونحمد بوشنر ، رسول المادية ، يصطنع لغة ايروقليس فيقول : ان القدرات تتجاذب وتتقارر مدافع الحب والسكرابية . وقال فيلسوف آخر انماي : انه كما تجذب المرأة الرجل والرجل المرأة كذلك الاكسوجين يجذب الايدروجين ومن هذه الرابطة الحبيبة يولد الماء .

فهو الحب في شكل الجذب والدفع ، يشد الحجر الى الحجر والارض الى الارض ويسند هذا الصرح العظيم الذي تقف عليه . هذه عبارات وآراء كثيرا مانقع عليها في قراءاتنا . وهي كما يقول الأستاذ ريفولت الذي اعتمد عليه كثيرا في هذا البحث ، ليست إلا أقاويل أساسها الجهل التام بالحقائق البيولوجية . ذلك لأن الحب شيء والجنس الصرف شيء آخر . فالغريزة الجنسية أصيلة في الانسان ، أما الحب فكتسب . هو نتيجة الثقافة والتقدم الاجتماعي . فالعلاقة الجنسية مجردة في الأصل من هذه الاحساسات التي نصتها بالحنان والرفقة والعطف والتي تجمعهما كلة واحدة هي الحب . فان هذا اللون من العواطف قد نشأ متأخراً بعد أن قطعت الانسانية مرحلة كبيرة في سلم النشوء والارتقاء

وهو حين نشأ ، نشأ متصلا بوظائف تختلف كل الاختلاف عن الوظيفة الجنسية . أما الجنس في طوره البدائي فقد كان مصحوبا ، في غالب الامر بالقهوة والتلذذ من ايقاع الاذي ورؤية الالم فالحيوانات كائنات مقترسة ومنظر أى مخلوق في حالة ضعف شديد أو حين يكون مطروحا على الارض مدرجا بالماء لايسئ شيئا عندها سوى انه فريسة اى طعام . فالمباع والنمورة تقتل أناثها

وتلتهم صغارها . وفي الكتب الاثروبولوجية نجد شواهد كثيرة لهذا . منها أنه حدث أن جرح إحدى البثور ثم وجدت منهوشة النصف الخلقى بعد أيام . وحدث أيضا في حديقة الحيوانات في نيويورك أن فهدا امريكيا أحضره له انثى في قفص قريب من قفصه ليتألفا فجعل في أول الأمر يتلقاها ويلقق فرونها ويداعبها بيده . فلما أدخلوها عليه افترسها . ومن هذا يستنتج الاستاذ بريفولت أن الجوع الجنسي ليس الا لونا من ألوان الافتراس . فغاية الخلية الذكر من الاندماج في الخلية الانثى هو في الاصل الحصول على غذاء بنفس الطريقة وبنفس الدوافع الأصلية التي تبحث بها عن الطعام . وكما أن البيضة تتمثل الخلية المنوية كذلك نجد أنثى العناكب تفترس وتلتهم ذكورها .

ومعنى هذا أن الاتصال الجنسي عند هذه الكائنات البدائية ، سادي ، أى أنه قاس كالجوع نفسه . فالقسوة هي العاطفة المباشرة والاساسية التي تصحب الغريزة الجنسية . فاذا اشتبك ذكر وأنثى في هذا العمل الجنسي انقض الذكور على الانثى في قسوة وانثبث الانثى بدورها أنيابها فيه . فأنثى الجمل لا تكاد تفتحى حتى تستدير للذكر وتغرس أنيابها . وفي العالم الانساني الراق لا تزال بقايا من هذه القسوة التي يترج بها الجنس **امتزاجا شديدا** . وكلتا «الماروكية» و«الصادية» ليست بغريبتين عنا . ويلاحظ الاستاذ بريفولت ان كلمة «يقتل» في اللغة المصرية القديمة تعنى أيضا «يأكل» وأنه كان من عادة العاشق المصري في ذلك الوقت اذا ما أراد أن يعبر لمشيخته عن حبه الشديد أن يقول لها : **أعني لو أكلتك** .

ويستنتج من هذا ، أن هذا التعبير لابد أن يكون له أصل بيولوجي . فالعواطف الرقيقة التي تنشأ بين الجنين لاتصل في الاصل بالدافع الجنسي وانما هي تتصل بدافع آخر هو الاجتماع والتساقف . فالغريزة الجنسية لاتطلب أكثر من انعام العمل الجنسي . أما الاسترقاق أى الحاجة الى الرفيق والمعين فهي حالة انشأتها وبعتها وظيفة النسل والامومة . فان العناية بالاطفال أوجدت الانثى في حالة حرجة يصعب عليها فيها أن تحمي نفسها وتوفر غذاءها : ومن هنا بدأت تمتدق الذكر . وبهذا أضيف الى الغريزة الصرفة شيء جديد غريب عنها . واكتسب الذكر تبعاً لذلك شيئا من العواطف الرقيقة الخاصة بالانثى . وتبدو هذه الحالة في وضوح وجلاء حينما يحتاج الانثى للرقود زمنا طويلا على يصبها ليفقس . حينذاك ينحتم على الذكر ان يراها بالغذاء والسهر في أثناء ذلك . أما في الحالات التي تجد فيها الانثى قليلا من القدرة على حفظ كيان صغارها وحمايتها بنفسها فانا نراها لا تسترقق فحسب بل تنفر من الرفيق وتبتعد عنه . واكثر مايقع هذا عند الحيوانات النندية . يروى لنا لافنجستون أنه لم ير قط قطيعا من ذكر القيق يسير مع أناته . وان ذكر الجاموس يجتمع بأناته مدة شهرين فقط من السنة كلها . هذا مايقع في العالم الحيواني . أما في

العالم الانساني فهو في بده التطور لا يكاد يختلف كثيرا عنه عند الحيوان فالذكر في القبائل البدائية يعامل الانثى في رود شديد وعدم اكتراث . وزمن الاجتماع قصير جاف يكاد يقتصر على تأدية الوظيفة الجنسية للصرقة . فلا سكيويون يعاملون زوجاتهم بحفاوة واهمال شديد . وقبائل الكومنجو لا تعرف شيئا عن هذه العواطف الرقيقة التي تنشأ بين الهبيين . وعلى عكس هذا تماما نجد الحب شديداً بين الامهات وأطفالهن . ويريد الأستاذ بريغولت من ايراد هذه الشواهد كلها أن يثبت أن الاسترقاق أو الحب انما هو امتداد عواطف الامومة واتساعها وانتقالها الى الزوج والاطفال وهو في أول أمره يظهر ضعيفا جدا . أي أنه حب سلبى ، يقوم على تبادل المنفعة . ولهذا فإن الصفات التي تبعث عنها المرأة هي الصفات التي تجعل منه مخلوقا ناجحاً . وهي القوة والشجاعة وتحمل الشدائد .

والغريب اننا في نظام زواجنا لا نترقى كثيرا عن هؤلاء القطريين . فالأمر في الزواج عندنا يقوم على المنفعة وليس على الحب المتبادل . ولهذا تظل المرأة عبدة لفرصة الامومة مدى حياتها أى أن وظائفها البيولوجية تستهلكها استهلاكاً قاتلاً وتدفعها الى الارتقاء في أحضان الرجل تطلب منه العون والحماية . ومن هنا ، هذا الاختلاف في النسبة بين الرجل والمرأة . فالمرأة تقرب الحياة وتحبسها وتفاعل معها تبعاً لطبيعتها البيولوجية ومركزها لاقتصادى . وليست كذلك الحال مع الرجل . وبهذا يتخذ التقدم النفسى للأمة طريقين متباعدين مختلفين يميزان جنباً لجنب : تطور نمائى وتطور رجائى . وكل من هذين التطورين يبرز أنواعاً مختلفة من الصور النفسية ، من الميول والاهواء من الترائز والاشغالات ، من القوي المفاوغة في التصور والارادة والعمل .

فالحب اذن أصسبيل في المرأة مكتسب في الرجل . فهو عند الرجل من نتائج الثقافة والاجتماع . وهذا هو السبب في اختلاف الحب عند الامم المختلفة . فهو عند العرب غير عند اليونان وغيره في القرون الوسطى . ومعنى هذا أن الرجل يتعلم الحب ، يتعلمه من الآداب والتقاليد التي تحيط به .

ونخلص بواعث الحب الاجتماعية الثقافية كما يراها بريغولت فيما يأتى :

١ — حاجة الانسان الشديدة الى مخلوق يشاركه في الاعجاب بالصورة العليا التي رسمها أنفسه وتقديرها .

٢ — الاحساس بالجمال . وهو أيضاً ثمرة من ثمار التقدم الاجتماعى . ويتضمن هذا الاحساس المقياس الأعلى للجمال النسوي ، للرفة والمذوبة والتخصبة والذوق ولباقة الحديث والحركات

٣ — المشاركة في الذوق والميول

٤ — اشباع غريزتي الملكية والزهو

• - تهيشة الجو لحرية الاختلاط وتبادل الأسرار

هذا هو التاريخ النقوى للحب . وهو كما ظهر لنا يقوم على اجتماع المرأة والرجل على هموم ذهنية وعاطفية بعيدة كل البعد عن الحاجة الجنسية الصرفة . وبالرغم من أن الرجل استمد عناصر الحب من امرأة ، إلا أن الملابس التي أحاطت بها في أثناء التطور ، وهي حاجتها الى معين اقتصادي وانفصالها بتربية الأطفال وما ترتب على ذلك من نشوء مزاج قمعي خاص بها ، هذه الملابس وقفت للمرأة وحصرت قواها المنتجة فلم تسام مع الرجل في بناء الثقافة

( ٢ )

وهنا أستاذ آخر اسمه « سوتى » يقوم على رأس المدرسة السيكلوجية الحديثة في المنهج ترا يقرب موضوع الحب من النقطة التي بدأ بها يريفولت بحته يقول هذا الأستاذ إنه ليس في الانسان ميل أصيل الى القسوة أو الكراهية . وإنما يبعث فيه هذه الميول كنتاجية لنوع العلاقات التي كانت بينه وبين أمي أثناء الطفولة . فالتصال الطفلي بأمة يبعث فيه عواطف واحساسات تستمر معه حتى الحيات . هذه المواطف هي العناصر الأساسية للحب . فهذه الصلة هي الدافع الذي يدفعه فيما بعد الى البحث عن مخلوق يقوم مقام أمة : يشاركه في هموم نفسه ويمطف عليه ويمأونه ويشعره بالأمن ويطرده عن فائق الوحدة . فالحب هو الأصل في الانسان لأن صلته بأمة لا تملأه غير هذا أما الكراهية والقسوة فهي ميول عكسية تتكون فيه حين يحرم من الحب . وهو يستجيب لهذا الحرمان استجابات مختلفة . فمثلا تراه يتحدث نفسه : إن أمة طيبة القلب وعطوفة . فهي اذا لم تحبني فذلك لأنى شرير . ومن هنا ينشأ مركب النقص فاذا كبرت الجماعة محل الآم واقترب من الجماعة بهذه المجموعة من المواطف والاحساسات التي كان يقترب بها من أمة . أو فانه يقول : أمة تحب الأطفال وتمطف عليهم فلا تكن طفلا . وهذا هو سبب الليلاهة أو الصبيانية . أو يقول : لتحبني أمة أو تخافني . وبمباراة أخرى ليحبني المجتمع أو فليحذر بأمة . وهذا هو الاجرام . هذا الحب الذي يصدر عن صلة الولد بأمة يتسم فيما بعد فيشمل الجماعة التي تحيط به ثم يستحيل إلى قوة فعالة في بناء الثقافة . فالحب في هذه الحالة هم ذهني طائفي وليس حاجة جسمية أو كما يقول فرويد مظهر من مظاهر الفريزة الجنسية المكبوتة

( ٣ )

أما أدل فهو يختلف عن يريفولت وسوتى ولكنه وإن خالف فرويد في أصول الدوافع الانسانية فانه يكاد يتفق معه في الجوهر . فغاية الحياة عنده الميادة والسلطان . وغاية الحياة عند فرويد اللذة . وأدل يعالج الميل المنحرف الى الميادة والسلطان بتوجيهه توجيهاً حكماً أي يبعث



الروح الاجتماعية فيه . وفرويد يعالجه بتفضيل مبدأ الحقيقة والمصالح العام على مبدأ اللذة . ومعنى هذا أن كليهما ينظر الى الانسان ك مخلوق هدام مجرد من عناصر البناء والخلق فهو لهذا في حاجة دائماً الى الكبت ، كبت الفريضة الجنسية أو السيادة ، ليتهدب ويرق . أما « سق » فعلى النقيض من ذلك . فالإنسان عنده محب طبيعه . أى فيه ميل طبيعى إلى الاستسراق . وهو لا يلجأ إلى الكراهية والعنف إلا حين يحال بينه وبين الحب

( ٤ )

ويقسم الكاتب الانسيكلوبيدى الكبير هـ . ج . وثر ، الحب ، إلى نوعين كبيرين :

( ١ ) الحب الانسانى العام أو الحب الكونى . وهو أرق حالات الوجود الانسانى . هذا هو الحلم الذى يحلم بتحقيقه اليوت سمث ويقول عنه برجسون ويونج وبول فاليرى وكثيرون غيرهم بأنه غاية الحياة الكبرى . ففيه يحب الانسان المرأة لا امرأة بعينها . أو الرجل لا رجلاً بعينه . وفيه أيضاً تمتع الفيرة . لأن الذات تمتع ثم تقمع حتى تشمل البشرية كلها . وهذا الحب لا يمنع الانسان فى الوقت نفسه من أن ينكس من حين لحين ليلي نداء عواطفه الاولى التى تدور حول نفسه والتى ترتبط ارتباطاً وثيقاً باستجاباته البعيدة الخاصة بالطعولة أى يستحيل الجنس إلى وسيلة من وسائل التعبير المتعددة عن الحب . فيعشق امرأة بعينها ويحرس عليها . ولكنه حرص قائم على المساواة التامة . حرص مجرد من الفيرة القائلة والامتلاك والتفوق

( ب ) أما النوع الثانى فهو الذى يكون بين رجل بعينه وامرأة بعينها . يغازها ويغار عليها ويحرص عليها حرصاً شديداً وهى تضيق عليه الخناق . وإلى هذا يقيم نفسه سيداً عليها وينظر اليها كما ينظر الى أمه أو الى نديم تقف على خدمته وتطيعه وتغنى له . هذا النوع من الحب ، إنما هو حب محدود عاجز ، حب خاسر يمنح الانسان من المساهمة فى الرقى الاجتماعى والأعمال الانسانية لأنه واقع فى كل لحظة تحت سيطرة الفيرة والامتداد . من الجائز أن ينشأ بين الطبقات المتأخرة أو الشعوب القبطية ولكنه يبدو شاذاً غريباً اذا وجد فى جماعة تطمح فى الرقى . من الجائز أن ينشأ عند المتوحش ، عند الفلاح ، عند بائع الكتب النافذة ، عند المحرم وعند هؤلاء الذين ضاقت نفوسهم وضلّت شخصياتهم . ولكنه عار وخزى إذا وجد فى المثقف ، فى العالم ، فى القاص أو فى أضراب هؤلاء . لقد اقترح ميريدث عشر سنوات كالأقصى حد للحياة الزوجية ولكن وثر يقول لماذا نغض أعيننا عن الواقع ، فإن قصص الحياة تكاد كلها تنتهى بهذه العبارة بين الحبيبين : « لقد انتهى ما كان بيننا ولنمشى أصدقاء » وثر لا يؤمن بالفرقة بين الرجل والمرأة . لأن الفروق الموجودة إنما هى فروق مصنعة . حالة المرأة الاجتماعية الآن تحررها من العبودية البيولوجية .

وتفتح لها العليل لتقف مع الرجل على قدم المساواة . فهي يمكنها أن تحب الآن وأن تعلن رغبتها في الحب إذا شاءت . يمكنها أن تكسب قوتها وأن تعمل وتتحرك بحسب إرادتها . وهي إذ تعمل ، تمد الثقافة وتمدها بقوة جديدة تنميتها وتحصنها .

(٥)

والآن نحب أن نهال : ما هو مركز الحب في المجتمع المصري .

الحب كما يفسره بريغولت وسوني وولز ، أى هذا الصرح الكبير من العواطف المتقنة الاجتماعية . لن أحاول التعمية والاطالة . سأقولها قولة صريحة لا ألف فيها ولا دوران . ليس في المجتمع المصري حب ! المجتمع المصري ليس اجتماعيا . إنه مبستر منكسك . يقوم في الغالب ، فيما يتصل بالحب ، على مزاج من فكرتين . الملكية المستبدة وسببها عدم المساواة بين المرأة والرجل . ثم تغلب الحاجات البيولوجية الصرفة .

غير أن هناك نفرا من الشباب المتعلم والمتقف ، يكبر الآن شيئا ، يعاني آلاما نفسية بعيدة الأثر من هذا المجتمع الذي لا يعرف عن المرأة سوى أنها مخلوق بيولوجي ، طعام ، شيء لا شخصية له ، عليها أن تجلس مكانها لا تتحرك إلا إذا دعت ولا تتكلم إلا إذا أثير إليها بالكلام . مخلوق مجرد من الحاجات والهيول التي تنبثق في صدر الرجل . فإذا بدا لها أن تعلن رغبة من رغباتها كما يعلن الرجل أو تثبت وجودها أو تأتي بما يميم على الاستقلال والاعتماد على النفس . . إذا فعلت شيئا من هذا فهي مجرمة أثيمة . هذه الفئة المتعلمة من الشباب تعاني الحرمان من الحب . هذا الشباب يعيش وحده . لا يجد هذه الصلات الخاصة القريبة الحرة التي تشعر بأنه يحيا ويعيش . ذلك لأنه يحيا حياة تختلف عن حياة السلف . هو شباب متقف طموح في نفسه هموم ذهنية . والتفكير المحصور الذي لا يتعدى جدران نفسه يقتله . كما تنقصه هذه الاستجابة المتقنة التي تلهب أعصابه وتدفعه الى الانتاج .

هو لا ينظر إلى الجنس إلا كوسيلة للتعبير عن عواطفه الراقية المتقنة .

كل إنسان على شيء من الرق والحضارة يرسم لنفسه صورة عاليا يحترمها . وهو يطلب من الناس ، سواء في غموض أو عن دراية ، أن يشاركوه في هذا الاحترام فإذا تم له ذلك أشرق نفسه وتفتحت وأتسعت . أما إذا غشل حزن واغتم وقل نشاطه . وتكونت فيه عقد نفسية مختلفة . فاحترامه لنفسه لا ينعج وحده . لأن هذا الاحترام لا يملك ذراعين أو شفتين . ومن هنا حاجته إلى المرأة . إلى هذا المزاج من الجنس والثقافة . وفي قبلاتها ودعائها يفس في وضوح وجلاء هذا الاحترام والتقدير .

الحضارة الصحيحة هي الحضارة التي تنمى في أفرادها جميع ملكاتهم . هي التي تكفل لهم أقصى درجات الوجود الحر الواسع الشامل . فهل يشعر الشباب في مصر عامة والشباب المثقف بوجه خاص أنه يلتحق في جو طلق وأنه يعيش في وسط مرز يسوده الحب ويساعده على تنشئة ملكاته وخواصه الطبيعية تنشئة سليمة . فإذا كان يشكو شيئاً، يفكو عقله أم قلبه ؟ وإذا كان قلبه مريضاً ضعيفاً يشكو قلة النشاط وبواعث التفتح والازدهار ، فهو الذي يعاني وحده أم أن الشباب في البلاد التي تعرض حضارتها الآن على العالم كله يشكو أيضاً ؟ وإذا كان هذا الشباب المتحضر لا يعاني ما نعاى فلماذا لا نصطنع أساليبهم في الحياة ونظام معيشتهم ؟

حينما تنمو حضارة من الحضارات تبسط سلطانها على ما يجاورها من الحضارات الناشئة الضعيفة . والأمم الصغيرة تتأثر برغبتها بالنور الذي ينعكس عليها من هذه الحضارات القوية النابضة . وهي إذ تأخذ عنها ، تأخذ في إيذاء الأمر ما يعس الجسم ومتعة الحسن . فهي تلبس الحرير وتقتنى الاتوموبيل وتبنى دور السينما . ولكنها تحترق المرأة وتستهلكها كما تستهلك الطعام الشهي وتقيم الوالد سيداً وطاحنة على ابنه فلا يستطيع الولد أن يسر إلى أبيه بذات نفسه أو يجلس إليه يدخن سجارة أو يتبسط معه في الحديث .

ولا يستطيع الزوجة أن تجلس على مائدة الزوج أو تشترك معه في حديث هام . هذه الأمة الضعيفة الناشئة تقتنى الراديو والطائرة وتؤسس البيوت المالية على أحدث الأنظمة ولكنها تحارب اختلاط الجنسين واستقلال الفتاة استقلالاً يعس حياتها الشخصية والسياسية والاجتماعية . وتعتمد على الدين وحده في تفسير الحياة العامة . وتكثف احساسها وشعورها بها وفي استخراج المقاييس التي تتصل بالحياة الشخصية والاجتماعية والاخلاقية مما قيل عن تاريخنا المجيد فلن يدفعنا هذا الى الاعتقاد بأن حضارتنا القديمة لم تبخر وان بقيت بذورها وكمنت بعقريتها في صدورنا . قددمت علينا أيام مظلمة قاتلة محت من قوسا كل همه ونشاط . لم تتحرر منها الا حديثنا وحديثنا جدا . على أننا لم نق من تلقاء أنفسنا وانما أيقظنا من سباتنا العميق نور قوى أشرق علينا من حضارة فتية . ولكننا أخذنا القشور وتركنا اللب . أي أننا أخذنا المادية لهذه الحضارة ولم نصطنع المزاج الذي احترعها ، أو الصورة النفسية التي تخيلتها . فلو أنه حدث حادث مفاجيء وتنتج عن هذا الحادث تدمير تام لكل ما انتجت هذه الحضارة القومية من مؤسسات ولم يعصب طابع هذه الأمة العقل بانحراف أو تقدم صورتها النفسية في شكل من الاشكال فانها تنشئ من جديد حضارة جديدة قد تفوق سابقتها . أما اذا أصيب الذهن واتلفت الصورة النفسية فان هذه الأمة تقف امام هذه المؤسسات في دهشة تامة ، كما يدهش المتوحش حين يصنى الى دقائق الساعات أو القرونوграф .

تتكون ثقافة كل أمة من عدة مؤسسات منها :

الحياة المنزلية ، الحياة الاقتصادية ، الحياة السياسية ، الحياة الاجتماعية ، الحياة الشخصية ، الحياة التعليمية ، الحياة الاخلاقية الخ .

ومعنى هذا أن للانسان حاجات غريزية ومكتسبة وان هذه المؤسسات وجدت لترضى هذه الحاجات .

فاذا نشأت حاجات ولم تتجدد المؤسسات القديمة أو نشأت صور تسمية جديدة ولم تنشأ تبعاً لذلك مؤسسات جديدة ترضى هذه الحاجات فهذا هو الجمود . والذي حدث في حركتنا التجديدية الحديثة هو أنا اصطنعنا بعض المؤسسات الاوربية وجدنا في اصطناع البعض الآخر . فبداناملاً نتقدم في السياسة والاقتصاد والتعليم والعلوم . ولكننا لا زال متمسكين بأساليبنا القديمة فيما عس الحياة المنزلية والاجتماعية والشخصية ، والروحية . ومن الأمثلة على ذلك أن الشاب يتزوج أولاً ثم يحب وليس العكس . يقع هذا بالرغم من نشوء حاجات وميول نفسية جديدة تصل بهذه النواحي . وهي في الواقع تفوق في الاهمية أنواع الثقافة التي اصطنعناها . لانها قوام مزاج الفرد فلو أننا تقدمنا في هذه النواحي لبدأنا كما بدأت أوروبا ولأمكننا أن نبني حضارة مثل حضارتها . لان هذه النواحي هي التي تغير شخصية الانسان وطريقة اقترابه واحساسه بالحياة . أو هي العناصر التي تتكون منها صورته النفسية وطائفة العقلى .

لا عجب اذن أن ينشأ في مصر أدب يكره المرأة على نحو ما . فالشباب الذي لا يجد مثله الأعلى أى الذى يكتب فيه الحب يسلك واحداً من هذه المسالك : هو يحلم بها ويخلقها في فنه اذا كان فناناً أو يتحطم على مؤنث الميسر والحر . أو ينفص في اللهو الدنس ويقبل على وسائل التخدير المفرطة أو ينتحر . فتوفيق الحكيم لا يكره المرأة وانما يكره امرأة بعينها . يكره المرأة المصرية المرأة البيولوجية . فهو يحب شبح امرأة . ولكونه فناناً ، بث الحياة في هذا الشبح فكان لنا من ذلك « الملهمة » والراقصة القنانة في « عدد المرأة » أى أنه يحب المرأة التي يجتمع فيها الجنس والثقافة المرأة التي تعطى وتقنع بالقليل . المرأة الملهمة التي تلهب الذكاء وتبعث على الانتاج . لا المرأة التي تقنى وتمتهلك .

( ٦ )

تشغل السيكولوجية في عصرنا الحاضر مكاناً كبيراً بين العلوم الحديثة . وقد بلغت هذا الشأن حينما انفصلت عن الفلسفة . وأهملت البحث في المسائل الغيبية وخضعت لأساليب البحث العلمى الصحيح . فتركت ماهية النفس وعينت بدراسة دوافع السلوك الانسانى وبواعث سعادته ومروره

وشقائه المستعينة في ذلك بنتائج علوم جديدة فنية كالاثروبولوجيا والبيولوجيا . وبهذا أمكنها أن تحل كثيرا من متاعب النفس الانسانية ومشاكل الحياة الاجتماعية . ولهذا ندر أن يقع الانسان على كتاب الاوري المنظر السيكلوجي منسنا فيه .

وبالرغم من الحلول والاقتراحات القيمة التي تقدمها للبشرية من حين لآخر ، نجد كثرة الجماعات عامة والهيئات المسئولة بوجه خاص تأخذ عنها في بطء وحذر شديد . فان دل هذا على شيء فهو يدل على أن نظام التربية لا يزال فاسدا وان القلوب ما زالت تتحكم فيها التقاليد والمعتقدات القديمة ان نظرة عابرة لما يجري في العالم الآن من أحداث لتثير في النفس قلقا شديدا . وبأسا قاتلا . ولقد دفعني هذا الى تأمل طويل : ما قيمة هذه القيم الانسانية والمثل العليا التي نقرأ عنها ؟ اما الحياة ما قيمة الحياة نفسها ! ما هي في الصميم ، مجردة طرية من كل ما يحيط بها ويحني معالمها ، من عراق وفنال وتناحر على الثروة والمجد والحياة وما الى هذه الاشياء !

انحن أشباح نتحرك في حلم طويل ! أبجلمنا الصابع الاكبر ! والتاريخ ! أهو حلم لانهاية له يحمله صائم الزمان والمكان والحياة ! يولد الانسان ليموت ! أنتمتع الحضارة ليفرغها رمادا من ؟ الحياة ! أهى هذه الدنيا بألوانها واحرارها . بجملوها وسرها وكل ما يضطرب فيها ، قائمة في أجهزتنا المعيبة ، لانتلبث حتى نتلاشى اذا ما فسدت هذه لأجهزة وبادت ! أهى مجرد لببذ محبوبوس في ذواتنا يريد أن ينطلق ويتحرر بوسائل متعددة الى نهايات غامضة ! وهذه الثقافات المختلفة ! أهى هذا اللببذ المحبوبوس ، ملتصقا ، أعصابا كما تلتصم الشحنة الكهربائية المحبوسة في الملك البلاستيكي داخل المصباح الكهربائي المفرغ من الهواء ! الحياة ! أهى ومضة خاطفة تلتصم ثم تذوب في ظلام كئيف ! ومهمن غرائز لا يدري أحد من أين ، ثم ضعفط وحملت ذرات ثم قضى على هذه الذرات أن تتعذب طوال المباق المخيف . الحرمان أحيانا والشبع والاكتناء أحيانا أخرى ! ثم يتبخر هذا كله وتبقى ظلمات كئيفه ، فوقها ظلمات تحتها ظلمات ! أأيذهب الحلم وتبقى الحقيقة الخفية : عماء العماء ! هذه هي الحياة مختزلة في هذه المعادلة الحسائية البسيطة !

فكرت في هذا كله في قلق شديد . فكرت في شيء ينقذني من هذا التخليط . وفجأة التعم في ذهني خاطر كأنه رؤيا : الحب !

إنه وحده أمل الانسانية وحافظه من التردى في الهاوية ، لأنه تزيق العقل . هو وحده يستطيع أن ينقلنا من عالم البروانة ، عالم الفكر المطلق . هو وحده يستطيع أن يشرق على قلوبنا كما تشرق الشمس على الاصقاع الثلجية فتحي مواتها وتبعث فيها الحياة . هو وحده يستطيع أن يحفظنا من المصير الذي صار اليه أوراسيا بطل الأسطورة اليسابانية ، إذ تحلل شعر رأسه وصار

رماداً ودهن جسمه واخضرت أسنانه ودبت برودة الموت في أوصاله حينما طارق قلبه الحب .  
هو وحده يستطيع ، كالخمر ، أن يتسرب داخل الجسم الى منابع الفكر والعاطفة وهناك يتمتع  
الى منبه قوى يثير القطة والخيال والشعور والشجاعة والثبات والتعاطف وتضحية الذات وما إليها  
من الصفات الانسانية الرقيقة .

هو وحده يستطيع أن يرهف آذاننا فيجعلها تصنى لمس الجود ، للمسيقى التى تنمى من  
كل الارزاء . من الوجوه والاعين ، من الأشجار والأزهار ، من العمارات والاندية ، من الاكواخ  
والحقول ، هذه الموسيقى التى تحمل فى تضاعفها فرح الحياة ورسالة العبقريّة .  
هو وحده يستطيع أن يوقظنا مع القجر لنشاهد الشمس وهى تشرق شيئاً فشيئاً فى الأفق  
البعيد فى ألوان مختلفة رائعة .

فتمتريج قلوبنا بالفرح العظيم الذى تغمر به أشعتها الصافية اليوم الوليد وتمتلئ بأمل ورجاء فيما  
تحمل هذه الدورة الجديدة من دورات الأرض .

هو وحده يستطيع أن يذهب بنا فى ساعة من ساعات الاصيل الساحرة الى الحدائق الغناء لترى  
الطير والعشب والشجر وهى تنهى الحديث الابل وممره وأحلامه وقد هرع إليها فتر غير قليل ممن  
أضاه الحب نفوسهم ، يسرون زوجين فى رف اللجم وظل الشجر كأنهم بعض هؤلاء الابطال الذين  
نسمع عنهم فى القصص الخرافية .

هو وحده يستطيع أن يهذب نفوسنا ويصقلها فتنبسط الى أغنية من أغاني شورى وتضمع عنها  
أو سيمفونيا من سيمفونيات بيتوفن ، فاذا افاق الحياة تمتد أمامنا ثم تمتد واذا بالمسافة تقرب  
ثم تقرب بيننا وبين الوجود العام واذا بنا نشعر بحب شديد وحنين الى كل ما يضطرب فى الكون  
الى الطير والحیوان والجماد والانسان .

هو وحده يستطيع أن يدفع الادیب الى الكتابة والفنان الى التصوير والنحات الى الموسيقى والعالم  
الى الاختراع والاكتشاف .

هو وحده يستطيع أن يبدع الثقافة ويتقدم بها الى أقصى درجات الرقى .

هو وحده يستطيع أن يخلص العالم !

فالتاريخ يحدثنا والحياة الواقعة تحدثنا أيضاً أن أولئك الذين لم تعرف قلوبهم الحب اسلموا  
حياتهم فى نهاية الامر الى الشيطان .

وأعنى بالشيطان التنفك والانحلال والأنهيار على هذه الأرض التى يحيا فيها . فتجنب الناس  
والمزلة استسلام للشيطان ، أى قتل للنفس . والانفاس فى الحجر والبغاء استسلام للشيطان . أى

مدم للشخصية ومحاربة التقدم، وقتل الفكر الحر استسلام للشيطان . والبخل الشديد وتكديس الذهب استسلام للشيطان . وهكذا .

باع فاوست نفسه للشيطان لأنه اعتكف في صومعته واعتزل الحياة لا للحصول على المعرفة الالهية كما كان يتوهم وإنما ليعبد نفسه . قلبه لم يعرف الحب : صميم الرغبات كان يملأه . وبافنوس في قصة ناييس ، لم يكن مصيره أحسن حالا من مصير فاوست . ذلك لأنه كان أنانياً شديد الانانية ظهرت هذه الانانية في اول حياته في الانغماس في اللذات وأشباع الشهوة الفعجة الغليظة . ثم ظهرت بعد ذلك في ثوب راهب . ولو عرف قلبه الحب لما تصدع كيانه عن هذه الصبغة المنكرة . ان الله والسموات ليست شيئاً أمذكوراً . وانه ما من شيء له وزن وهو حق الا الحياة الدنيا متاع السرور والا الحب الجمدي . وكذلك حطمت مدام بوطاريه نفسها على مذبح الشهوة .

اذا كان الامر كذلك فلم لانهب : لم لا يملأ الحب قلوبنا لنخلص ويخلص العالم كله !  
فلنحب وليكن حبنا واسعاً حتى يشمل الانسانية كلها ؟



# قائل ابنه

قصة للكاتب الفرنسي ميريميه

وترجمة الاستاذ حسن صادق

يخرج المدير من حي بورتورفشيرو ويمير نحو الشمال الغربي في داخل جزيرة كورسيكا، فيرى الأرض ترتفع في غير تدرج ولا نظام . وبعد مسير ثلاث ساعات في مستنقعات الينة معوجة كثيرة التعاريج تعترضها كتل ضخمة من الصخور وفي بعض الاحيان حفر صعبة موحشة ، يشرف على دغل أو أكمة وسبعة «هائلة» كما يطلق عليها أهل تلك البلاد . وهذا الدغل هو موطن الرعاة الكورسيكيين وملجأ كل شخص ساءت الملائفة بينه وبين القانون والمدالة

والزارع الكورسيكي يحب نفسه دائماً تعب تسميد حقله ، فيشعل النار في جزء بعينه من الغابة ، ثم يلقى البذور في الأرض وقد أحضرت برماد الاشجار التي كانت تحملها وتغذيها . ولايهجه أن تحدد النار الى مساحة أكبر مما تقتضيه الحاجة ، بل يليه عن كل ما يحدث الثقة التامة بحصوله على غلة وفيرة جيدة تعد له أسباب الراحة والرخاء . حتى اذا أينع الزرع ونضج ، اقتطف السبلات وترك الجذوع لانها تتطلب جهدا في الاقتلاع وتحصد ألما في الحصاد . وهذه الجذوع التي تبقى مضروسة في الأرض ولا يعتمد اليها فأس الزارع أو يده ، تنمو في الربيع نحو كبير وينبت منها فروع كثيرة تتكاثر الى درجة هائلة على مرّ الايام ، وبعد مضي سنوات فلال تعمل الجذوع والقروع الى ارتفاع يبلغ سبعة أو ثمانية أقدام . وهذا المكان أو الملجأ يزخر بالشجر والشجيرات تنمو وتختلط كما يشاء لها الله ولا يتسنى للانسان ان يفتح فيها منفذا الا والمول في يده . وهناك أدغال تبلغ من الكثافة مبلغا عظيما حتى أن العول تنسجها تعجز عن اختراقها

فانا قتلنا انما ، فذهب الى دغل بورتورفشيرو وخذ معك بندقية وبارودا ورصاصا وممطقا أسود اللون متصلة بأعلاء قلنسوة كبيرة هو فراشك وغطاؤلا ، تمش في المثلثان ودعة . وهناك يقدم اليك الرعاة اللين والجبن وبعض التماكة ، ولن تخشى يد العدالة أو تخاف أذى يصيبك من أقرباء القتل ، الا اذا أرغمت الحال على الذهاب الى المدينة لتجديد سلاحك وذخيرتك



لما كنت في كورسيكا عام ١٨ ، كان بيت « ماتيو فالكوني » يقع على بعد نصف فرسخ من هذا الدغل . وهذا الرجل كان غنيا بالنسبة للجزيرة الفقيرة ، يعيش بشرف ، أي دون أن يعمل شيئا ، على ما تنتجها قطعانه التي يستودعها قبائل من الرعاة مبعثرة في الجبال حين رأيته بعد مضي عامين على الحادث الذي ساقصه ، بدا لي في الخسيف من عمره على الاكثر . كان رجلا قصير القامة بدينا ، له شعر جمد حالك المواد وأنف أدلف وشفتان رقيقتان وعينان واسعتان تشعان بريقا حادا رهيبا ، ولون يصرب الى الحمرة من أثر الشمس والحبل . نبغ في الرماية حتى اعتبرت مهارته في اطلاق البندقية واصابة الرمي خارقة للعادة حتى في بلاده التي تشتمل على كثير من مهرة الرماة . ومن الأدلة على نبوغه في هذا المضمار أنه لم يطلق قط على رجل بارودا متناثرا ، ولكنه يصيب هذا الحيوان دائما على بعد مائة وعشرين قدما برصاصة في الرأس أو الكتف كما يشاء . وهو يستخدم سلاحه ليلا بالسهولة والحدق الذي يستخدمه بها في ضوء النهار . وقيل لي عن هذه المبرة البادرة التي قد لا يصنفها من لم يركوريسكا ويجول في نواحيها ، ما يأتي : وضعت في الليل على بعد ثمانين خطوة من ماتيو شمعة موقدة خلف جسم شفاف من الورق في شكل للطبق وحجمه . وأعد الرجل سلاحه ثم أطلقت الشمعة بعد لحظات . ولما جثم الظلام ثانية في محضمة ، أطلق أربع رصاصات ، أصابت ثلاث منها الورق وثقبت ثلثة ثقبوب وأخطأت الرابعة

وهذه الجدارة العجيبة التي تستدر الاعجاب الشديد ، نال ماتيو أوفر حظ من الشهرة وبعد للعبث . ويقال عنه أنه كان صديقا وقيما لمن يصادفه وعدوا خطرا على من يناوئه ويؤذيه ، ومع هذا كان واسع الكف لكل طالب ، طويل اليد المعروف والاحسان ، يعيش في وئام وسلام مع الناس جميعا في حي بورتوفشيو . ولكن يروى عنه أنه ذهب في مبة صباه الى « كورت » للزواج من فتاة ملكت عليه قلبه . وهناك وجد له منافقا قويا شديد المراس في الحرب وفي الحب على الهواء ، فبطش به . ويدور على الألسنة أنه باغت هذا المنافس برصاصة من بندقيته ، بينما كان هذا يخلق لحية أمام امرأة صغيرة مملقة بناقدته . وسواء أكان هو القاتل أم غيره ، فإن أمر الجريمة وقف عند هذا الحد ، وتزوج ماتيو من جويسيا التي يحبها ورزق منها ثلاث بنات ( وكان هذا مبعث غيظه وثورته ) ثم أعقبت له ولدا ذكرا أسماه فورتيناتو فكان أمل الأسرة ورجاءهم ووارث اسمها الذي تمتاز به وتتفخر . ولما تزوجت البنات تزوجن من فتیان أشداء وفي خفض من العيش ، واستطاع أبوهن أن يعتمد على خناجرهم وبنادقهم في كثير من الأحوال . اما الابن فإنه ما كاد يبلغ العاشرة من عمره ، حتى بدت عليه مخالب الذكاه التي تبشر باستعداد جميل ومستقبل سعيد

في صباح يوم من أيام الحريف ، خرج ماتيو مبكراً مع امرأته لزيارة بعض قطعانه في أحد مراحى الدغل . وأراد فورتيئاتو أن يصبحهما ، ولكن أباه رفض أرضاء هذه الرغبة لبعد الشقة بين البيت والمرعى وللضرورة التي تستوجب بقاء شخص لحراسة المنزل . وسرى ممايلي أنه حدث ما يدعو الى الندم على هذا الرفض

ذهب الرجل وزوجه لشأنهما ، واستلقى الصبي على الأرض في هدوء تحت أشعة الشمس الصاحية ، يسرح الطرف في الجبال الضاربة الى الزرقاء ، ويفكر فرحاً طروباً في يوم الاحد القريب وتناول طعام الغداء عند حمة الكابورال في المدينة حين يطل عليه ذلك اليوم المشتهى من ثنايا المستقبل المجهول

ومرت ساعات وهو مستغرق في تأملاته البهيجة وأحلامه السعيدة ، وعلى حين سمع طلقة نارية أفزعته ، فانفض قائماً والثفت الى ناحية السهل الذي انبعث منه الصوت ، فسمع طلقات أخرى من بندقية تتوالى وتتعاقب في فترات غير متساوية ويترب دويها منه شيئاً بعد شيء . ثم ظهر له في أول الطريق الصبق الذي يؤدي من السهل الى البيت رجل أغبر ذو لحية طويلة ، على رأسه قلنسوة مستطيلة مدببة تالتي يحملها الجلييون ، وعلى جسمه ثوب خلق قدر متبتك من كل جانب ، وهو متهاك في نعمة يقتلم قدميه من الأرض في جهد ومشقة ويتوكأ على بندقية خشية السقوط ، وقد أصيب منذ لحظة برصاصة في فخذه

كان هذا الرجل قاطع طريق ( وهذه الكلمة هنا معناها هارب من وجه العدالة ) ، ذهب ليلاً الى المدينة لشراء رصاص لسلاحه ، فوقع في كمين أعده رجال الشحنة . وبعد دفاع هائل عنيف ، استطاع أن يتراجع وينتقل من صخرة الى أخرى ، وهم يتعقبونه في أصرار وحماسة وقوة . وكان بينه وبينهم مسافة تساعد على الحرب ، ولكن جرحه أفسد عليه خطته وحال بينه وبين بلوغ الدغل قبل أن يلحق به الجند ، فقصد الى بيت ماتيو أملاً في النجاة

دنا من الصبي وقال :

— أنت ابن ماتيو فالكوتي ؟

— نعم

— وأنا جيانيتو سانبيرو . الجند ذوو القلائد الصفراء يتعقبونني فخبئني لأنني لاأستطيع

المحير لأبعد من هنا

— وماذا يقول أبي اذا ما خبأتك بدون اذنه ؟

— سيقول انك أحصنت صنما

— من يدري  
 — خبثي مريعا . انهم فادعون  
 — اننظر حتى يرجع أبي  
 — كيف أنتظر ؟ ! اللعنة ! سيكونون هنا بعد خمس دقائق . هيا خبثي أو أقتلك فأجاب  
 فورتيئاتو في ثبات ووزانة :

— بندقيتك غير محشوة ولم يبق في منطقتك رصاص  
 — معي خنجري

— ولكك لا تستطيع أن تجري بالسرعة التي أجري بها  
 ثم قفز قفزة فأصبح بعيدا في مأمن من الرجل

— اذن أنت لست ابن ماثيو فالكوي ! أتتركني للجند يقبضون على أمام بيتك !  
 فبدأ التأثر على وجه الصبي ، وقال وهو يدنو من الرجل ثانية . « ما ذا تعطيني اذا خبأتك »  
 بحث الرجل في كيس من الجلد معلق بمنطقته ، وأخرج قطعة ذات خمسة فرنكات كان يحرس  
 عليها من غير شك ليشتري بها بلودا . فلما رأى الصبي اقطعة الصية هس لها وتبسم وتناولها  
 وقال لجبايتوا : « لا نخش شيئا »

وفي الحال فتح فرجة كبيرة في كومة من البرسيم الخاف كانت ملقاة على مقربة من البيت ، فاندفع  
 الرجل فيها ، وغطاه الصبي ثانية بطريقة ماهرة ما كره تببيع له دخول قليل من الهواء للتنفص ،  
 ولا تلهم أي شك في أن هذه الكومة تخفي في جوفها رجلا . وفضلا عن ذلك نهج الصبي منهجا  
 يدل على دقة هذا الوحش واستماته بقمط من البقرية : فأخذ هرة وأولادها للصغار ووضعها  
 على سطح الكومة ليلقي في روع من يراها الاعتقاد بأن يدا لم تعبت بها منذ هنية . ثم لمح  
 أثر دم في الطريق قريبا من البيت فغطاه بالتراب في عناية وبراعة ، وعاد يرقد على الأرض تحت  
 أشعة الشمس وهو أكثر ما يكون شجاعة وهدوءا

ولم يمض بضع دقائق ، حتى وقف أمام بيت ماثيو ستة رجال في أثواب سمراء وقلائد صفراء ،  
 يرأسهم ضابط صف . وكان بين هذا الرئيس وماثيو فالكوي صلة قرابة بعيدة ( والمعروف  
 أن الناس في كورسيكا يتبعون درجات القرابة إلى أبعد مما يتبعها غيرهم في أي مكان آخر ) كان  
 يدعى تيودور وجامبا ، وكان رجلا نحيطا كثير الدهاء يخشاه المجرمون جد الخشية لأنه قهر كثيرا  
 منهم وأوقعهم في قبضة العدالة

دنا رئيس الجند من فورتيئاتو وقال له وهو يد من النظر فيه :

— عم صباحا يا ابن العم الصغير ! ها أنت ذا قد كبرت وترعرت ! أرايت رجلا مر بك منذ قليل ؟

— أوه ! لم أصبح بعد كبيرا مثلك يا ابن العم !  
وكان حوаб الصبي في لهجة الجهل والمذاجة  
— ستصبح مثلي في المستقبل . ولكن احبني ألم تر رجلا يمر بك  
— رجلا يمر بي ؟

— نعم . لبس قلنسوة مديية من القطيفة السوداء وسترة مطرزة بالأحمر والأصفر ؟  
— يلبس قلنسوة مديية من القطيفة السوداء وسترة مطرزة بالأحمر والأصفر ؟  
— نعم . أحب مريمها ولا تكرر أسئلتك  
— في هذا الصباح ، سيدى القميس مرّ ببابنا على جواده يبرو . وسألنى كيف حال أبى ، وأجبتة . . . .

— آه ! الصغير الصغير المحبب ! انك تتصنع المكرو والدهاء ! تكلم وأصرع . أية سبيل  
سلك جيانيتو ، وهو الرجل الذى نبحث عنه . أتى على يقين من أنه سلك هذا المستدق  
— من يدري ؟

— من يدري ؟ أنى أعرف جد المعرفة انك رأيته  
— أبرى المرء السابعة وهو محتفرق فى النوم ؟  
— لم تكن نائما أيها الصلوك ، فان طلقات البنادق أيقظتك

— أعتقد ان يا ابن العم أن بنادقكم تنتج كل هذا الصوت الذى تحسبه يوقظ النيام ؟  
ان بندقية أبى تحدث صوتا أشد وأقوى من بنادقكم ، وشتان بين الصوتين  
— فلنتخلفك الشياطين أيها الولد اللعين ! أتى واثق بأنك رأيت جيانيتو ، وربما خبأنه أيضا !  
هيا يارفاق ، ادخلوا هذا البيت واجثوا فيه عن المجرم الخطر انه لم يعد يستطيع المسير الاعلى رجل  
واحدة ، وهذا الوغد القثيم يملك من الدهاء والذكاء ما يليهه وسيلة يبلغ بها الفحل وهو  
يقفز ويمرج ، فلا تضيعوا شيئا من الوقت . ألا ترون أنه فضلا عن يقينى  
فان آثار القدم تقف عند هذا المكان ؟

سأله فورتينانو وهو يضحك تهكما وسخرية « ما ذا عسى أن يقول أبى اذا ما عرف أن  
أحدا من الناس دخل بيته فى غيبته ؟ »

فقال رئيس الجند للصبي وهو يشد أذنه « ألا تعلم أنى أملك الوسيلة التى تجعلك تغيب هذه

النعمة؟ بالحقيقة اذا ضربتك يبطن هذا الصيف عشرين ضربة !

فأجاب فورتيانو في عزة وخيلاء وهو يواصل الضحك « أبى ماتيو فالكوني ! » سكت الرئيس قلبلا ثم قال والدهم فائر في عروقه « ألا تعلم أيها الصغير العجيب أى أستطيع الذهاب بك الى كورت أو باستيا ، وهناك ألقيك في سجن مخيف وأضع القيد في يديك والسلاسل في رجلك وفيه تقدم على خشبة من القش وتأكل الخبز القفار وتشرب الماء الأسن ، ثم أقودك الى الموت بالجلاوتين اذا لم تقل أين جيانيتو سانبيرو ؟ !

اتعجب الصبي ضاحكا عند سماع هذا الوعيد الملىء بالسخف ، وكرر قوله « أبى ماتيو فالكوني » فقال أحد الجنود لرئيسه همسا « لا تخافم ماتيو ! » . فلما سمع هذا القول ظهرت عليه أعراض الحيرة في جلاء ووضوح ، ثم شرع يتحدث الى جنوده بصوت خافت ، وكانوا في تلك اللحظة قد عادوا من تعيش البيت . ولم يكن هذا العمل مهمة متطاب وقتنا طويلا ، فان كوخ الكورسيكي لا يتكون الا من غرفة مربعة واحدة تشتمل على مائدة ومقاعد وصوان للملابس وأدوات للعيد وأواني الطبخ . وفي أثناء حديث الجنود الخافت ، وقف الصبي يداعب هرته ، ويستمع في دخيلته استمتاع الخبيث الماكر بتخبط الجنود وجبرتهم وعجز رئيسهم وغضبه

ثم دنا جندي من كومة البرسيم الجاف وقرس في المرة لحطاط ، وطعن الكومة بحربة بندقيته عرضا وانفاقا بلا غرض معين ، ثم هز كتفه كأنما قد شعر بأن حيلته كانت غاية البله والسخف . ولم يظهر في الكومة حركة ، ولم يلم وجه الصبي عن أقل الأفعال أو جرم

كاد الرئيس يبحن وجنوده . ونظروا الى ناحية السهل في جد كأنهم مستعدون للعودة من حيث جاءوا . وانهم كذلك اذا رئيسهم ، وقد اقتنع بأن الوعيد لن ينتج الاثر المرجو ولن يخيف ابن ماتيو فالكوني ، ففرغ الى حيلة أخيرة ويحاول تجربة الدعاية والهدايا وسحر العين والملاطفة

قال للصبي :

— يا ابن المم الصغير ، انك في نظري حبار يقظ حريص كل الحرص ! سيكون لك شأن في مستقبل الأيام . ولكنك تلعب معى لعبة سيئة . ولو لم أكن أخشى أن أسبب الما لان صبي ماتيو ، لجرءتك معى على الرضم منك

— لغوا !

— ولكن سأقص الامر على ابن صبي عند عودته . وعقابك على كذبك ، سيضربك بالحوط حتى يدمى جسدك

— سنرى ! وبعد

— سترى . . . ولكن أصغ الى . . . كن ولها شجاعا فأهدى اليك شيئا  
— سأهدى اليك يا ابن العم رأيا سيديدا ، وهو أنك اذا تأخرت أكثر من ذلك ، أفلت  
جيانيتو منك وبلغ الدغل آمنا . وفي هذه الحال سيتطلب الأمر أكثر من شجاع مرح منك  
لذهاب الى الدغل والبحث عنه

فأخرج جامبا من جيبه ساعة فضية لا يقل ثمنها عن خمسين فرنكا . ولحظ أن عزيز فورتيئاتوا  
الصغير أبرقت عند رؤيتها ، فقال له وهو يمسك بطرف السلسلة المعلقة فيها الساعة :

— أيها الشيطان الخبيث ! انك تذبوب شوقا الى اقتناء ساعة مثل هذه ، تدلقها في عنفك ،  
وتمشي في أزقة بورتوفسيو فخورا كالطاوس ، ويسألك الناس . كم الساعة الآن ؟ فتقول لهم  
في كبرياء . انحنوا عن الجواب في ساعتي !

— سيهينى عمى الكابورال ساعة حين أكبر

— نعم . ولصكن ابن عمك بملك اليوم ساعة . . . ليست في الحق جملة كهذه . . . ومع هذا  
فهو أصغر منك منا

تهدد الصبي تهدة عميقة ، فقال له رئيس الحشد . « ادنى أثر يدها ؟ أترغب في هذه الساعة يا ابن  
العم الصغير ؟ »

رنا فورتيئاتوا الى الساعة بطرف عينه ، كهرة يقدم إليها الانسان دجاجة كاملة ، فتشعر بأنه  
يسخر منها ، ولا تجرؤ على مد يرائنها . وهي من حين الى آخر تدبر حينها حتى لا تقع في شرك  
الاغراء ، ولكنها تلحس فيها وتتلفظ في كل لحظة ولسان حالها يقول لسيدها . « وما أقسى مزاحك  
ودعابتك ! »

ولكن جامبا أظهر حسن الية في عرض ساعته ، ومع هذا لم يدفورتيئاتوا يده ، بل قال في ر  
بصمة مريرة :

— لماذا تمخر منى ؟

— أقسم بالله ليس في قولى شيء من السخرية . قل فقط أين جيانيتو ، أمنحك هذه الساعة  
أضربت شفتا الصبي عن بصمة شك ، وحقق بعينه السوداوين في عيني جامبا محاولا أن

يقرأ فيها ما يلهمه الايمان بصدق أقواله . ورأى رئيس الجند التردد من الصبي فصاح قائلا :

— فلا فقد منصبي أن كنت لا أعطيك الساعة على هذا الشرط وهؤلاء الرفاق شهود على ،  
وليس في وسمى أن أرجع في قولى أو أخلف وعدى

وكان وهو يتكلم على هذا النحو ، يدنى الساعة رويدا من وجه الصبي حتى لمحت خده المصفر أو كادت ، فبدت عليه آثار الصراع العنيف ، القائم في نفسه من جراء هذا الاشتباه بين الرغبة الملحة والاحترام الواجب للضيافة ! ووافق صدره العارى يرتفع وينخفض في قوة عجيبة كأنما هو على وشك ان يخنق . ومالت الساعة تدور وتهتز أمام عينيه ، وفي بعض الاحيان تحس في رفق روبة ألقه ، حتى ارتفعت في النهاية يده اليمنى شيئا فشيئا نحو الساعة المعتبهة

لمستها اطراف اصابه ، وثقلت باكملها على كفه المضطرب ، ولكن جامبا الماكر لم يتحرك من يده طرف السلسلة . وكان سطح الساعة الداحلي في زرقة السماء الصافية وعلبتها معقولة مجلوة حديثا ، فظهرت في الشمس لامعة شديدة البريق .. الاغراء كان قويا مستبدا !

فلم يلبث فورتيقاتو أن رفع يده اليسرى أيضا ، وأشار بها بالابهام من فوق كتفه الايسر الى كومة البرسيم الجاف ، وكان ظهره مهندا اليها

ادرك رئيس الجند كل ما يريد ، وترك الساعة من يده فسقطت الساعة في يد الصبي فابتلع بها وشعر بانه وحده مالكا ، ثم نهض في **خفة الطير** وابتمد عن الكومة عشر خطوات ، فهجم عليها الجند في سرعة مخيفة يقلبونها ويحشرون احوادها

ولم يمض غير لحظات حتى تحرك السات الحاف وخرج منه رجل ملطخ بالدم والخنجر في يده وهو يحاول ان يقف على قدميه ! ولكن جرحه الذي برد وجد عاقبه من الوقوف فسقط على الارض ، وفي تلك اللحظة انقض عليه رئيس الجند وانتزع الخنجر من يده ، ثم شد حفاقه وثاقه على الرغم من مقاومته العنيفة

ولما ترك على الارض موتقا كهزيمة من الخشب ، أدار رأسه نحو فورتيقاتو ، وكان قد دنا منه ثانية ، وقال له « يا بني .. » في لهجة هي أقرب الى الاحتقار منها الى الغضب . فالتقى الصبي اليه قطعة المال النفضية اذ شعر بانه لم يعد يستحقها . ولكن المجرم لم يبد عليه ما يدل عليه على أن هذه الحركة استرعت التفاته ، وقال لرئيس الجند في هدوء وثبات « عزيزي جامبا ، لا استطيع المشي سترغمك الحال على حلي الى المدينة »

فاجاب الظافر القاسي

— لقد كنت تجرى منذ قليل أسرع من الارنب البري ! ولكن اطمئن بالا . ان مروري العظيم بالقبض عليك يجعلني احمكك فوق ظهري واقطع بك فرسخا كاملا من غير ان اشعر بالتعب وعلى كل حال ايها العزيز ، صنم لك من الاعصان ومن معطلق محفة بديعة ، وفي مزرعة كريسبولي سنجد ما يعوزنا من الجياد

— حسن . وأرجو أن تصح قليلا من القس في هفتك استكمالاً لأسباب راحتي .

وبينما كان بعض الجند منهمكا في عمل محنة من الاغصان ، والبعض الآخر مهتما بتضيد جرح جانيته ، غاب ماتيو ووجهه على حين بغتة هند منعطف الطريق المؤدى الى الدغل . وكانت المرأة تتقدم بحنية في مشقة تحت عبء غرارة كبيرة من ثمار القاهلوط (ابو فروة) أما زوجها المتكبر المنعطر فلم يكن يحمل الا بندقية في يده وأخرى في محالة معلقة في كتفه ، حرياً على عادة أهل الجزيرة الذين يرون أن الرجل لا يليق أن يحمل شيئاً آخر غير سلاحه

عند رؤية الجند ، أول فكرة جرت ببال ماتيو . أنهم جاءوا للقبض عليه . ولكن لماذا جالت أذهنه هذه الفكرة ؟ كان بينه وبين المداة سوء تعامل أو صله فائره ؟ كلا . كان يتمتع بسمعة حسنة او كما يقال ، مشهورا بسرارة الخلق وطيبة القلب ، ولكن كان كورسيكيا وجبليا ، وقليل من هؤلاء إذا تقب في ذاكرته لم يجدهم بعض حوادث ، كطلقة بندقية أو طعنة خنجر ، أو ترهات أخرى غير هذه . وكان ماتيو أنظف وأهدأ ضميراً من كثير غيره ، لانه منذ أكثر من عشرة أعوام لم يستخدم بندقيته ضد انسان . ولكنه على كل حال كان منصراً بمبدأ النظر ، فاتخذ لنفسه موقفاً يساعده في الدفاع اذا احتاج الأمر ، وقال لزوجته «امراء ، ضمي غرارتك واستعدي » فاطاعت في الحال ، وأعطاه البندقية التي على كتفه خشية ان تضايقه ، ثم حشا البندقية التي في يده

وتقدم في بطنه نحو البيت محاذياً الاشجار المغروسة على حافة الطريق ، وعلى اتم استعداد عند أول حركة عدائية ، فلتستقر بأصمخ شجرة يستطيع من خلفها ان يطلق النار وهو في مأمن من رصاص الجند . وسارت زوجته من ورائه قدما بقدم ، ممسكة بيديها البندقية وخزانة البارود ، لان أعظم مهمة لمقاة على عاتق المرأة في حالة النزاع هي ان تحمى سلاح زوجها في مهارة وسرعة أما جامبا رئيس الجند فقد شعر بالمشديد حين رأى ماتيو يتقدم على هذه الصورة ، وثبده الخطو وبندقية مصوبة الى الامام وأصبعه على الزناد . ففكر وقال لنفسه « اذا ما ظهر أن ماتيو من قرياء جيانيتير أو صديق له وأراد ان يدافع عنه ، فإن رصاصة بندقيته ستصب اثنين منا ، ما في ذلك ظل من الشك ! وادما ما اتعذني هدفاً لسلاحه ، فعلى صلة القزاة الغناء ، لانها لن تقيني للقتل الحق

وفي غمار هذه العيرة والتبليل استقر على رأى فيه اقدام وشجاعة ، وهو ان يتقدم بمفرده نحو ماتيو ليقس عليه كل شيء ، ويقابله مقاتلة الصديق القديم لصديقه . ولكن المسافة القعيرة التي كانت بينه وبين ماتيو بدت له طويلة تهول النفس وتزعج القلب

تقدم خطوة وصاح



— هولا هولا ! يار فيقي القديم كيف حالك يا صديقي الباسل ؟ أنا جامبا ابن محك فوقف ماتيو ولم ينطق بكلمة ، ولكنه ، وجامبا يواصل الكلام ، كان يرفع في بطنه وهدوءه قوهة البندقية . وفي اللحظة التي وصل فيها جامبا الى ماتيو ، كانت هذه القوهة مصوبة الى السماء مد رئيس الجنديده بأصافحة ابن عمه وقال

— عم صباحا يا اخي ( هذه تحية اهل جزيرة كورسيكا المعتده ) لم أرك منذ زمن طويل

— مم صباحا يا أخى

— حضرت لافروك وابنة عمى السلام ، ثم أخذ سبيل سريعا : لقد بذلنا اليوم جهدا كبيرا ولا ينبغي أن نشكو النصب ، لاننا ظفنا بصيد ذائع الفهرة . قبةنا الماعة على جيانيتو سانبيرو فصاحت جيوسييا « شكرا لله لقد مرق منا عزة » وليدة في الاسبوع الماضي

فأجاب ماتيو بقوله « شيطان مسكين ! كان الجوع يمزق احفاهه » وادجامبا الى الحديث يقول « دافع هذا الشيطان عن نفسه دافع الاسد الممتيت ، وقتل أحد جنودى . ولم يقف عند هذا الحد . بل كسر ساق الكابورال شاردون ، رايكن في هذا شركثير لأن ، الكابورال فرنسى لا كورسيكى . ثم اختبأ في النهاية جيدا حتى ان ابليس معه ما كان يستطيع ان يثر بمغيبته . ولولا ابن عمى الصغير فوريتناتو ، لما وقعت أبدا على معرفة مكابه والقبض عليه »

ولما سمع ماتيو هذا القول ملحهكه الدهش الشديد وقال « فوريتناتو » وكررت زوجه كلمته في اللهجة نفسها « فوريتناتو ؟ »

فأجاب جامبا

— نعم . جيانيتو كان مختبئا في كومة البرسيم الجاف هذه . ولكن ابن عمى الصغير لجأ معى في أول الامر الى المسكر والمخداع . سأروي لعمه الكابورال ما حدث ليرسل اليه هدية جميلة جزاء له على الالم الذى احتمله في سبيل اسداء هذا المعروف : سأذكر اسمه واسمك في التقرير الذى ارسله الى النائب العام

فقال ماتيو بصوت خافت يكاد لا يسمع « اللعنة »

وانضموا جميعا الى الجند وكان جيانيتو على الخفة مستعدا للرحيل . فلما رأى ماتيو في صحبة جامبا ، انفرجت شفاته عن بسمه غريبة ثم ادار وجهه نحو باب البيت وبصق على عتبة وهو يقول « بيت خائن »

لم يكن في الحياة رجل يستطيع أن ينطق بكلمة خائن وهو يوجهها الى فالكسوى ، إلا اذا كان راغبا في الموت عازما عليه . ولو وجد هذا الرجل الجرىء ، لتسلت اهانتة في الحال طعنة خنجر قاتله

ليست في حاجة الى التكرار . ولكن ماتيو على الرغم من خلقه وقف جامدا بعض لحظات ، ثم رفع يده الى جبينه كرجل جمعت به المصائب واصطلحت عليه الواو الهوم

وكان فورتيئاتو قد دخل البيت عند رؤية ابيه ، فخرج بعد قليل ومعه اناه اقبين ، ثم قدمه الى جيانيتو وهو خافض البصر منكس الرأس . ولكن الرجل صاح في وجهه بصوت هائل قائلا « اليك عنى » ثم التفت الى احد الجنود وقال « اسقنى يارقيقى » ولم يسمع الجندى الا ان يضم سقاءه الجلدى على فم المجرم . فشرب حتى الرى من يد رجل تبادل واياه القذائف النارية مند قبل

ولما انتهى من الشرب ، طلب من رئيس الجند أن تقيد يده على صدره في شكل صليب بدلا من تركها موثقتين خلف ظهره . وقال يميز طلبه « اريد ان انام مستكملا أسباب الراحة » فاجيب الى طلبه صريما ، ثم أمر جامبا جنوده بالمسير ، وقال وداعا لاتيو ، واتجه بخطى سرية نحو السهل

لم يجب ماتيو على وداع جامبا ، وبقي في مكانه صامتا لا يتحرك ولا يطرف زهاء عشر دقائق وكان الصبى ينظر بعين الفائق ثارة الى امه ، وأخري الى ابيه المتكىء على بندقيته ، المتفرس فيه بعين الغضب البالغ الذى يدخل على النفس الهم

ثم قال الرجل لابنه بصوت هادى . ولكنه مفزع رهيب عند من يعرف هذا الكورسيلي العنيد « ما اعظم البداية التى ارتقيتها لنفسك » فصاح الصبى وهو يتقدم نحو ابيه والدمع يسيل من عينيه « أبى » وأراد أن يركع أمامه ، ولكن الواو الصرخ في وجهه قائلا « الى الواء ! اليك عنى »

فارتعد الصبى وتنهَّد ثم ابتعد عن ابيه بضخ خطوات ووقف صامتا خائفا حزينا ولحظت جيوسيبيا طرف سلعة الساعة ظاهرا من قميص فورتيئاتو ، فدنت منه وسألته في لهجة حادة .

— من أعطاك هذه الساعة ؟

— ابن عمى جامبا

فتناول فالسكو فى الساعة والقها بقوة على حجر فتعطلت وتناثرت قطع صغيرة ، ثم سأل امراته

« أهذا الولد من صلبى »

صعد الدم الى وجهه جيوسيبيا حتى بدأت اجزاؤه السراء حمراء كالآحر وقالت

— ماذا تقول يا ماتيو ؟ وهل تعرف جيدا الى من توجه كلامك ،

— اذن هذا الولد هو اول شخص من سلالة وجنسه ارتكب الخيانة

وفى تلك اللحظة قويت تهديدات فورتيئاتو وتضاعفت ألاته المسكوبة . وكان الواو يحدق فيه

طول الوقت بعين مفترسة ، وفى النهاية ضرب الأرض بمؤخرة بندقيته ثم القاها على كتفه وسارنى

طريق المغل وهو يصيح بأبنة أن يتبه

سار الصبي في أثره ، وجرت الام خلف زحجها وأمسكت بذراعه وقالت له بصوت مرتعش وهي تكاد تلمق عينها السوداءين بعينه قائما تريد أن تقرأ فيها مضمير نفسه  
— انه ابنك !

— دعني اني ابوه !

تراجعت جيوسيبا وقبلت ابنها ، ثم رجعت الى الكوخ باكية ، فركمت أمام صورة للعدراء وصلت في خشوع وحرقة

وسار ماثيو في الطريق مائتي خطوة او تزيد قليلا ، فاشرف على مكان منخفض يشبه الوادي انحدر اليه وحس الارض بمؤخرة بندقيته فوجدها ندية رخوة سهلة الحفر تلائم الغرض الذي جاء من أجله ثم التفت الى ابنه وقال « اذهب الى هذا الحجر الكبير واركن الى جانبه » ولما حقق الولد مضيقا اليه قال له هذا :

أتل صلواتك

— أبى ! أبى ! لا تقتلني

فكرر ماثيو عبارته بصوت جهول ويرعب « أتل صلواتك »  
فأذن الصبي وغغم وهو يسمد التلهدات بسلامة « يا أبنا الذي في السماء » ثم بسلامة « الایمان » وكان ابوه يحجب في نهاية كل صلاة بكلمة آمين . ثم سأله  
— هل هذه هي كل الصلوات التي تعرفها ؟

— أبى ، اعرف أيضا « سلام عليك يا مريم » و « صلاة الربيع » وقد اخذتها عن عمتي

— صلاة الربيع طويلة جدا ، ولكن لا اذن عليك ببعض دقائق

ولما تلا الصبي بصوت ضعيف كأنه ينبعث من قبر ، سأله ابوه

— هل انتهيت ؟

— أوه ! أبى ، عفوا ! اصفح عني ! لن اعود الى مثل ما فعلت ! سأضرع الى عمي

الكاپورال حتى يحصل على اللغو عن حياتني

وفي أثناء حديثه ، حشا ماثيو بندقيته ووضعها تحت حده الایمن ، ثم قال « ليفكر لك الله » وأدرك الصبي أن اباه سيقتله ، فحاول في جهد البأس أن ينهض ويقبل ركبتى أبيه ، ولكن الوقت لم يتوافره ، لأن ماثيو اطلق عليه النار . فوقع على الارض جثة هامدة

ولم يلق الرجل نظرة على جثة ابنه ، بل اخذ طريق بيته ليحضر فأسا يحفر به قبرا وما ان سار بضع خطوات حتى رأى امرأته جيوسيبا مقبلة نحوه ، وكانت قد سمعت دوى الرصاصة فهز قلبها

من التزع وخفت الى زوجها ركضا . فلما بلغت سألته في صرخة اترعب والجزع

ماذا فعلت ا

— اقمتم العدل

— ا ين هو ؟

— في المنعذر . ساقوم بدفته الآن . لقد مات مميحيا ، وسأقيم من اجله قداسا حتى ينعم

روحه بسلام الخلود . فلندع صبرى « تيودورو بيانسكى » المحفور والاقامة معنا

حسن صادق



# القمر بين الابهة والتعريم

لسلامة موسى في مناظرة مع الأستاذ احمد غلوش رئيس  
جمعية منع السكرات

اني في هذا الموقف مع الاستاذ غلوش لا أريد أن أنكر ان الخور تبعت أحيانا على الآثام  
ولكني أحدد موقعي معه في شيئين :

الاول : أن الحكومات العصرية ترى نفسها مضطرة الى أن تجيز وتبيح أموراً هي أسوأ من  
الخور التي ترى بعض الحكومات أنها سيئة ولكنها تبيحها لأن ظروف الحضارة العصرية  
تقتضى ذلك

والثاني : ان الخور ليست في ذاتها داء واعا هي دواء من داء . فالرجل الذي يطلب الخمر يطلبه  
لأن في صدره ضيقاً أي في نفسه كبتاً **بحسب محتاج الى التفرغ** والتعويض

وبعد هذا نقول أن الخمر التي يطلب الاستاذ غلوش تحريمها هي مع ذلك اختراع مصري قديم  
وهي من أبداع الحضارات التي جعلت الانسان يطبق الحصار . كان رماً قديماً من ارباب حدودنا  
أوزوريس هو الذي اهتدى إلى زراعة القمح وصنع البيرة وكان يطوف في أنحاء العالم لكي يعلمها  
فناس . وأكبر الظن ان الانسان اهتدى الى خبيرة الخبز من خبيرة البيرة . ومن هنا نعرف أنه حتى  
خبزنا يحنو خراً . وهو ان لم يحنو الخمر — عن طريق الخبيرة — كان فطيراً لانهم أعمارنا  
منه غير القليل . ومهما حرم الاستاذ غلوش على نفسه الخور الذيذة فإنه بلا شك يتناول الخمر كل  
يوم على الرغم منه في الخبز الذي يأكله لأن هذا الخبز قد خلطت عجيبته بخبيرة هي في أغلب الظن  
خبيرة الشعير أي خبيرة البيرة

\*\*\*

ولكن الخمر أرفع من أن نتحدث عنها هذا الحديث المبثقل ونذكرها الى جنب العجين  
والخمر . وأني أسأل الأستاذ غلوش عن الحضارات القديمة والحديثة هل واحدة منهن قامت بلا  
خمر ؟ وابن كان يكون شعر الشعراء بلا خمر ؟ وهل كان يمكن ابا نواس أن يتمتع عصره بهذه الاشعار  
الخالدة لو كان قد جهل الخمر ؟ بل هل كان عمر الحيام يستطيع أن يفلسف لو لم يشرب الخور ويعرف  
منها فترات السعادة التي جعلته ينمي على الدنيا وفرة هوونها ؟

لا بل ان الخمر قد أنمشت حتى أولئك الذين لم يشربوها ومنعتهم من ثقافتها ما جعلهم

يرتفعون فوق أنفسهم ويسكرون بخمر التصوف كهذا الشاعر العظيم أين القارض الذي استخرج من أسماء الخمر ومعاني السكر اسمى معاني التصوف والتجلى . وهكذا الشأن أيضا في كثير من الصوفيين الملهمين أوحى اليهم الخمر اسمى المعاني حتى أنهم عند ما اعتدوا الي شجرة البُن وعرفوا قيمتها في تقويتهم على السهر والصلاة أطلقوا عليها اسم القهوة أي الخمر

وهذا هو تاريخ العرب كان حافلا بالأدب الرائع حينما كانت الخمر مباحة حتى كان مجلس الخمر يعنى مجلس الأدب . وحتى ان اعظم كتب الادب في اللغة العربية وهو الاغانى انما هو محاضر دونها المؤلف عن جلسات كانت تمقد للخمر والغناء . ولا اكاد تخيل ان مثل هذا الكتاب العظيم كان يمكن أن يؤلف لولا هذه الخمر التى يمجدها الاستاذ غلوش بلا حق

لقد كان للعرب أدب وأدب رائع حين كانوا يترخصون في شرب الخمر . فلما فشا بينهم أمثال الاستاذ غلوش وشرعوا يسودون الدنيا في وجوههم ومحضونهم على تركها ونحجوا في ذلك مات الأدب . وهذا هو مآلها في عصرنا . فان حسن شعرائنا - عليه رحمة الله - كان مهيرا سكيما لانتقى عقائله الا في منتصف الليل وعد تلك الحانات التى تدشر عند شوارع السرور . ثم هذا شيخ من شيوخ الادب الاحياء الذين نمج بهم لا يزال يختار في الادب ويختار في الخمر ويختاره حسن في الحالين . وهو يجلو بالخمر دمه ويصطحب بها ويتبقي ويعرف ان الله غفور رحيم .



لا تكاد أمة على شيء ضئيل من الحضارة تخلو من الخمر . ولكن الامم الشرقية على كل حال لا تعتنق مذهب الخمر كما تعتنقه الامم الاوربية . ولا اظن أن أحداً ينشئ على الامم الشرقية لهذا السبب فان الغربيين المتهورين قد تلبوا على الشرقيين الصالحين . ولم تزوع الخمر اخلاق الغربيين وان كان الشرقيون لم ينتفعوا بصحوم

ولكن هل الشرقيون مع ذلك لا يحبون أن يغيثوا عن الدنيا فترة من الوقت وهل هم يديمون الصحو ؟

لو كان الامر كذلك لما عرفنا اسم الافيون والحشيش وسائر المخدرات التى اضطرت الصين هذا الشهر الى فرض عقوبة الاعدام على صانعيها ومتناولها كما فعات اليابان من قبل وتنفى هذه المخدرات برهان على أن الانسان في الحضارة محتاج الى أن يغيب عن صوابه ووجد انه فترة من الوقت ومادام الامر كذلك فالخمر خير ما يتبع له هذه الفرصة وقد حاولت الولايات المتحدة أن تلغى الخمر والغش بالفعل نحو عشر سنوات ثم طالت الى

اباحتها لأنها وجدت أن الحظر قد أفضى مآلات سيئة دون أن يؤدي أى نتيجة مفيدة. فإن الخور كانت تصنع أيام الاباحة وهي تحت إشراف الحكومة ورعايتها فكان للحكومة أثر حسن في منع السيئ من الخور فلما حظرت صارت المصانع تصنعها في الخفاء ولا تبال أن تصنع أسوأ الخور لأنها لم تكن تخشى إشراف الحكومة ومراقبتها إذ أنها كانت عند ماتنضبط يستوى عبد القاضى الحسن والسيئ من الخور وهو يعاقب صانعيها في الحالين بمقوبة واحدة . ففشت لهذا السبب خور سيئة تباع بأعلى الأثمان كما فشت مخدرات أخرى هي الموت المجهم

وظنى أننا لو حظرنا بيع الخور في مصر لحدث لنا مثل ما حدث في الولايات المتحدة أى أنه تنفشى بيننا الخور السيئة والمخدرات الشيطانية الأخرى . ثم بعد ذلك نعود كما حدثت الولايات المتحدة الى اباحة الخور

\*\*\*

إن السكرمة من الأشجار التي تزكو في التربة المصرية ولو كانت دائية في غراسها ندوس زيبها ونعصر خمرها كما كان يفعل جدودنا لكان ريفنا أغنى الريف في العالم . بل لقد كان كانت كذلك مصر أيام الرومان وهذه فرنسا تبين من خورها التي تعصرها من كرومها أكثر مما تبين من قطننا عشرين بل ثلاثين ضعفاً . وتربقنا في حونا الدافئ هـد البق لنمو الكروم من التربة التفرنية وكان يمكننا أن نصبح من أغنى الأمم لو أننا كنا نعصر الكروم ونعصر زيبها حتى ولو لم نشرب خورها وريفنا يخلو من الخور يخلو من السرور . وهو مع ذلك لا يخلو من المخدرات الشيطانية ومن الخور السيئة. ولما كنا في أعقاب الحرب الكبرى وتعالى أثمان الخور تعشت بيننا المخدرات المهلكة وأغلقت العقول وظنى عليها الجنون . وقد كانت هـدا عمدة الغلاء فقط فإذا تكون عمرة الحظر التام ؟

\*\*\*

لقد عاشت الأمم في الحضارة ما يقرب من سبعة آلاف سنة وكلها قد أباحت الخمر بالقول أو بالفعل . ولا يسمنا أن نبحد الاحتمارات التي أجمت عليها جميع الأمم ثم تقور في حماسة وقتية ونقول بالحظر والالغاء .

وقد أشرت في أول كلمتى الى شيئين أولهما أن الحكومات المصرية ترى نفسها مضطرة الى ان تبين أشياء كثيرة قد لا نوافق عليها . والثانى أن الرغبة في الخمر ليست داء بل هي دواء وهذا احتاج الى بعض الايضاح السيكولوجى فإن الحضارة التي نعيش فيها ليست طبيعية وهي

كلما أبعدت عن الزراعة كانت أبعد عن الطبيعة ولذلك فإن الفلاح أقل رغبة في الخور من ساكن المدينة الذي يقضى نهاره في المصنع أو المكتب أو المتجر . فإن الأعصاب هنا تتوتر والعضيق يأخذ بالصدر والنفس تريد أن تنفجر

وعندئذ يحتاج المرء الى أن يهرب من الحقائق ويفيب عن هذا الواقع القاسى . واقرب السبل وأيسرها هو كأس من الخمر يقول فيها لسان الحال :

وإذا سكرت فأنى رب الخورنى والسدى

وإذا صحت فأنى رب العوية والبعير

ففى الصحو يؤلمنا الا غفك غير الشاة والبعير ولكن الخمر تحيلنا ملوكا فتوهم اننا غفك القصور  
للنخمة والجياد المطهمة

فالخمر وسيلة للتفريغ أى أن النفس الضائعة بالعمل المجهد أو الحال التمس أو العواطف المكبوتة أو الغيظ المكثوم تجد فى كأس الخمر حبيلا الى التخفيف من هذا الكظم أو الكبت أو الضيق . فالخمر هنا ليست داء وإنما هى دواء لوسط اجتماعى سيئ . ولذلك سرعان ما يقل استهلاك الخمر ويترك الناس الشراب اذا وجدت وسائل أخرى للتفريغ . فإن استهلاك الخور مثلا قد نقص فى انجلترا لأن وسائل التفريغ باللاتومبيل والسيناتوغراف والراديو فون قد كثرت فأخذت مكان الخور . أى ان القاب الضائق بنفسه لم يجد - كما كان يفعل سلفه - يطير الى الحانة لتفريغ كربه وما تليق من عنت الرئيس أو جهد العمل بل صار يفكر فى الاتجاه إلى أحد هذه الملاهى الأخرى

ولكن حتى مع الاعتراف بقيمة هذه الملاهى لا أكاد تخيل عالما بلا خمر . اذ كيف تأتس بأصدقائنا ونقضى معهم سوية من الهناء والصفاء اذا لم نشرب معهم وفصك وإيام بعض الكئوس التى تنسينا نقائصهم الانسانية وتوهمنا أنهم من الملائكة محبوبتنا ونحبهم ولا يعرفون منا ولا نعرف منهم غير النية الحسنة والعاطفة السخية ؟

ان فى الحياة من الاختبارات المرة ما يجعلنا نفر منها . بل هناك ما يثبت أن بعض النوم هو فرار من سأم الوجدان . وانه كلما ازداد السأم ازدادنا رغبة فى النوم . وأحيانا نهرب من الواقع المر بان نستسلم للخيال والخواطر الاذينة فتتوهم أن المرتب قد زاد الى ثلاثة أضعافه او اننا قد حصلنا على ثروة ضخمة ولنا أعظم المراتب . ولا تزال حلقات هذه السلسلة تأخذ الواحدة منها بالأخرى فى خواطر قديذه يتسلط فيها العقل الباطن حتى نصحو ونعود الى الواقع المؤلم ونسكن بالعقل الظاهر وهذه اللذة لذة النوم ولذة الخواطر هى نفسها التى نقشدها حين نلجأ الى الخمر التى فتداوى



بها من سأم الحياة والتي تماعدنا على النسيوية الجزئية وعلى التذاذ الخواطر التي ترفعنا الى مقام الملوك غلك الخورنق والسدير وننمى اننا لآلك غير الشاة والبعر

والى أن يأتى اليوم الذى تحفر فيه الحياة من مراتها مستحتاج الى الحز لكى ننام بها ولكى تطلق لمقل الباطن عنانه فيها . فأت حياتنا ملاءى بالعموم حافة بالعموم سيش فيها مجهودين مكودين نارس من الاحمال مالمعا تكرهه ولكننا نكره على ممارسته لكى نال منه الاجر الذى نعيش به . ونرى حولنا من التفاوت الاجتماعى مايوهنا باننا مظلومون ثم تقع بنا المآسى التى يجلبها علينا التدمير السوء مسا أو من غيرنا حتى تعود الحياة وهى مرة نرجو منها الافلات . وطريق الافلات هو الحز



## رحلتى الى هوصن الدانوب

للاستاذ فرج جبران

كنت دائما أسمع عن « الدانوب الأزرق » وأقرأ عنه فأمتلئ شوقاً لرؤيته حتى أتيت ادا كان حقاً ما يروى الجغرافيون والساخون من جماله وجمال شواطئه . . . وأخيراً سنحت لى هذه الفرصة النادرة فمقت برحلتى فى نهر الدانوب . هذه الرحلة التى أصنفا الآن

فى الساعة الخامسة من اليوم الثالث من شهر أغسطس الماضى أقلت بنا الباخرة ، متجهة صوب « بيريه » وبعد ٢٠ ساعة كاملة فى البحر . أتى فى الساعة الواحدة من بعد ظهر اليوم التالى كنا نسير بين جزيرتين هما « سكاربوتيا » الى البحر وكريت الى اليسار . وفى صبيحة اليوم الثالث كنا فى ميناء بيريه أو بيروس وهو ثغر أثينا عاصمة اليونان كما نعلمون

ولما كانت الباخرة لا تقف عند ثغر بيريه الا ساعات معدودات لا تزيد على الخمس أو الست فقد أسرعنا بالتزول منها والانتقال بقرام أشبه عترو مصر الجديدة من بيريه الى أثينا لى نزور معالمها وآثارها .

فى أقل من ١٥ دقيقة كنا فى أثينا بلد المدينة القديمة وأول ما يظهر منها « الاكروبول » وهو بناء أثري كبير أعاد الى ذاكرتى معبد الكرنك فى طيبة ولو أن آثاره قليلة ادا قيست بما يضم الكرنك . وقد كان الاكروبول مقر ملوك اثينا الاوائل ثم تحول الى معابد متعددة للالهة .

والآثار الباقية ليست فى حالة جيدة اذ تهدم معظمها وقد رأينا منها « البارثنون » وهو معبد آلهة الحكمة وبه نحو ١٠٠ عمود من الرخام الأبيض .

وزرنا متحف أثينا وه مجموعة لا بأس بها من لآثار ولكنها لا تقاس بما يضمه جناح واحد من المتحف المصرى .

وبعد جولة فى طرقات أثينا أعقبها تناول الغذاء عدنا بسرعة الى بيريه لى نستقل الباخرة . وقد أقلت بنا فى عصر ذلك اليوم فى طريقها الى تركيا وأخذت تمر بين جزر متعددة .

وفى صباح اليوم الرابع للرحلة استيقظنا مبكرين ولما صعدنا الى ظهر الباخرة وجدنا اثنا نسير بين دويتين هما مدخل بوغاز الدردنيل المشهور منذ أيام الحرب العظمى وتذكرنا ونحن نرى الحصون المشيدة على الجانبين عدد الضحايا الذين غرقوا فى تلك البقعة فى أثناء الحرب . . وقد

قطعت الباخرة بوغار الدردنيل في اكثر من خمس ساعات وجدنا انفسنا بعدها في بحر مرمره فأخذ ساحله الاسيوى يغيب عنا ثم لحقه الآخر وقد مررنا في طريقنا بمدينة غاليلوى . وقد اشتهرت هي الأخرى منذ الحرب العظمى .

وفي مساء ذلك اليوم الرابع نتمه ، حوالى الساعة الخامسة بدأت استانبول العظيمة في الظهور وكان أول ما ظهر منها ما آذن مساجدها العظيمة المتعددة وقبابها الكثيرة المميزة . وكانت المساكن كذلك تبدو بسقوفها على مدرجات المرتفعات .

كان المنظر جميلا يأخذ بمجامع القلوب ولا يمكن ان أنساه أبدا حتى لقد اجتمع معظم ركاب السفينة على ظهرها يتمتعون بمنظر عروس البوسفور وعاصمة السلاطين وقد شغلوا بهذا المنظر عن كل شيء آخر . وبما يجدر ذكره اننا كلما اقتربنا من استانبول ارداد مسطرها جمالا .

كنا نرى الى يميننا الجانب الاسيوى حيث تقع مدينة اسكدار والى يسارنا استانبول وبجانباها « القرن الذهبي » وعليه قنطرة اسمها قنطرة غلطس تصل بين استانبول القديمة وحيها الاوروبى الحديث الذى يطلقون عليه اسم بيرايوس

ورست الباخرة عند مدخل القرن الذهبى وعادربها سراعا لكي نرى تلك المدينة التى أسرنا جمالها عن بعد . . . وقد زربنا بعض الجوامع الشهيرة كالجامع الأزرق أو جامع السلطان احمد وله صمت ما آذن دقيقة وهو من أهل حوامع استانبول ثم انتقلنا بعد ذلك الى أياصوفيا الذى حول الى متحف فى المدة الاخيرة . ولعلك تعرف من تاريخه أنه كان كنيسة فى مبدأ الامر ثم تحول الى جامع ولكن الصليب لا يزال يظهر على كثير من جدرانه . وقد أمر كمال أتاتورك رئيس الجمهورية التركية فى المدة الاخيرة بأظهار النقوش القديمة الاصلية التى كانت تغطى جدران أياصوفيا والتى كانت مندثرة تحت طبقات من الطلاء . ولكنك إذا دخلت أياصوفيا وجدت الآيات القرآنية لا تزال باقية على حالها وقد صيغت من الذهب الخالص .

وبعد أن تجولنا فى المدينة انتقلنا الى الحى الجديد بيرا Pera حيث قضينا المسهرة فاستمع الى غناء إحدى المطربات التركيات وكنا لا نهم شيئا مما تقول ولكننا مع ذلك كنا مغتبطين به لأنه كان كثير الشبه بغناء بلادنا المحبوبة . . . كما كانت الموسيقى كثيرة الشبه بموسيقانا .

وعدنا الى الباخرة متأخرين فى ذلك المساء حيث نأخذ بقية الليل واستيقظنا مبكرين فخرجن منها وبدأنا اليوم بزيارة جامع جديد كبير هو جامع السلطان سليمان القانونى . وآتيناه ذلك بزيارة الموق القومى ويطلقون عليه اسم « البازار » وهو كثير الشبه بمحان الخليلى عندما اد تجمد الازقة فيه ضيقه متعددة والحواسيت صغيرة متلاصقة ، وفيه يمكن أن يأخذ الزائر فكرة صحيحة عن تركيا القديمة .

أما تركيا الحديثة فظهرها يلمسه الزائر في الرجال والنساء وهم يسرون بقبعاتهم وفي انعدام الحروف العربية انعداماً باتاً . . .

وعدنا قبل الظهر إلى الباخرة . . . فابلت أن أظلت بنا ظهراً وأخذت تنهادر في القرن الذهبي وتستمد لدخول بوغاز البوسفور وكانت المناظر الطبيعية جميلة جداً فغادرنا جميعاً مائدة الطعام قبل أن ننتهي منه وصعدنا بسرعة إلى ظهر الباخرة فرأينا المرتفعات والمدرجات تكسوها الأشجار الخضراء أشجار النخلة والزيتون وقد ظهرت بينها بعض المساكن ( القلعات ) والمآذن العالية واستلقت نظرتنا بنوع خاص قصر « ضوله بفجة » المشهور مقر السلاطين فيها مضى . . . وكان البوسفور يضيق أحياناً ويقسع أحياناً أخرى وفي الأماكن التي يضيق فيها توجد بعض القلاع . . .

وحوالى الساعة الثانية بعد الظهر شعرنا جميعاً بالأسف العميق ونحن نخرج من البوسفور الجميل لندخل البحر الأسود ولا أحسب أن بيننا من يمتدح أن ماء أسود اللون حقاً . . . ولكنه على العموم مضطرب المياه تجتارهُ العواصف وتظله السحب القاتمة ومنها اكتسب اسمه ولكننا لحسن الحظ اجتزناه في هدوء . . . وما لبث المساء أن أرخى سدوله فعدنا إلى حجراتنا وآوي كل منا إلى فراشه .

كانت الساعة الرابعة صباحاً لما استيقظنا في صباح اليوم التالي فقلعنا أن الباخرة قد رست في محطتها النهائية : قسطنزاً أو قسطنطية كما يسميها أهل رومانيا . قسطنزاً مياهاً صغيراً لطيف خفيف الدم وقد رأينا هناك بعض المساحد كما كان بعض الأهل يلبسون الطرايش وذلك من آثار الحكم التركي القديم الذي كان يمتد إلى تلك الجهات في وقت ما . وانتقلنا من قسطنزاً بالقطار إلى إحدى ضواحيها واسمها إيفوريا Biferia وهي أشبه بالمرمل من الاسكندرية وهناك زورنا معسكر O.N.B.F. أو (الأنيف) كما يقول الرومانيون . وأحب أن أذكر كلمة قصيرة عن O.N.B.F. وهي اختصار لكلمة الادارة الوطنية للتربية البدنية . هذه الادارة النافعة أشبه بوزارة في رومانيا يرأسها جنرال في الجيش برتبة وزير وهي تشرف على التربية البدنية والألعاب الرياضية إشرافاً تاماً كما أنها تقوم بأعداد مدرسي الألعاب ومدربيها في معسكراتها المختلفة ولها في الصيف هذا المعسكر الذي زورناه في إيفوريا ضاحية قسطنز . . . أما في الغطاء فلديهم مراكزها الكبيرة وملاعبها في العاصمة الرومانية . وفي هذا المعسكر الذي زورناه والذي يقوم على مقربة من البحر الأسود رأينا وسائل التدريب على جميع الألعاب الرياضية حتى الرماية ، كما وجدنا فيه حماماً للسباحة أغرانا في الحال بقاء مائه وبالنساع حجمه على الاشتراك مع المستعجمين والمستحجات في رياضتهم وأراد بضنا بعد ذلك أن يخلد ذكرى زيارة رومانيا الجلية بالاستحمام في البحر الأسود فغادر الحمام إلى البحر نغمه حيث أتم الاستحمام .

غادرنا قسطنز في الساعة الثالثة بعد الظهر بواسطة القطار ميممين شطر بوخارست العاصمة

الرومانية فسار بنا في سول منبسطة عظيمة الانساع زرع في معظمها القمح والذرة وكنا نرى النساء يعملن الى جانب الرجال في الحقول . ووصلنا الى العاصمة في المساء وكان التعب قد حل بنا ففضلنا الراحة على كل شيء آخر . . . استعدادا للغد .

بوخارست مدينة عصرية جميلة ويسمىها الرومانيون « بوكوريشتي » وهم يفخرون بها ويقولون إنها باريس الصغرى . . . والحق أنها أعادت الى غيائى وأنا اختال في طرقاتها لبالا ذكرى ياربز العظيمة وقد حلنا في طرقاتها ووربنا متحفها وقبر الجندي المجهول فيها ثم خرجنا بعد الظهر الى ضواحيها للسيارة حيث استمعنا إلى موسيقى المنجى Teiganes وهى تبعث على التأثير لرقتها وعذوبتها . وفى اليوم التالى وهو الخامس للرحلة ذهبنا في زيارة لجبال السكريات مع أستاذ في الجامعة الرومانية يتكلم الانجليزية بطلاقة قررنا في طريقنا بأبار البترول المشهورة في تلك المنطقة واسمها كابينا بلوشتى ثم بسنايا وهى بقعة مرتفعة تبعد عن بوخارست ساعات قليلة بالسيارة ويقوم عندها القصر الصيفي للملك كارول وقد قامت إلى جانبه بعض المصادق المعه يؤمها الطبقة الغنية في فصل الصيف . وقد سمح لنا بزيارة قصر الملك من الداخل فوجدناه في غاية الجمال والفخامة ، ثم صعدنا بعد ذلك مسافة طويلة في جبال السكريات حتى أجدنا ثلج بالبرد وقصا ليلتنا في « ليمبشيلديسوس » بمعسكر جمعية الشبان المسيحية وكنا نرتجف برذا ولكنها كانت ليلة طريفة على كل حال رغم شدة البرد ورغم نومنا على القش إذ أنها أعطتنا فكرة عن حياة الجبال . ولما استيقظنا في الصباح كنا نرتجف فلم نجد علاجا غير الاشتراك في الألعاب السويدية المتتابعة حتى ندفأ ، وفادرا المعسكر حوالى الساعة التاسعة بالميارات في طريقنا إلى بوخارست فوصلناها حوالى الساعة الثانية بعد الظهر ، وأخذنا نستعد بعد ذلك للسفر إلى جورجو وهى قرية صغيرة واقعة في جنوب بخارست ولا تبعد عنها بأكثر من ساعتين ونصف ومها يبدأ السفر بالسفن الكبيرة في نهر دانوب .

« . »

وأقلمت بنا الباخرة من جورجو حوالى الساعة العاشرة مساء فكان ذلك أول عهدنا بالملاحة في الدانوب العظيم . اننا نعرف أن الدانوب يفصل دولا عدة بعضها عن بعض فلما استيقظنا في صباح اليوم التالى كانت الباخرة تحتال بنا عرض النهر وكان شاطئ رومانيا يمتد عن يميننا وشاطئ بلغاريا يمتد من يسارنا

كانت المناظر الطبيعية على العماطين من أجمل ما رأيت العين تبعث الأعصاب على الراحة وتهيب بالإنسان أن يتأمل فيها أدعته يد القدرة الالهية . كانت الأشجار اليازمة الخضراء تملأ الشاطئين على

أراضٍ منحدرة متدرجة مقسمة في رراعتها وخاصة على الشاطئ البلغاري وكنا نرى بعض المراعى ترتفع فيها المناشية والأغنام كما كنا نتقابل في عرض النهر بالبواخر وقوارب الصيد الكثيرة وكانت البواخر والسفن التجارية تقف عند المحاط لتفرغ البضائع أو لتحملها ، وتتصل هذه المحاط النهرية مباشرة بالطرق الحديدية مما يدل على أن القوم عرفوا صكيف يستفيدون من النهر في نقل متاجرهم . وبعد ظهر اليوم وقفت بنا الباخرة عند قرية بلغارية هي قرية « نوم » وقد أمكننا أن نغادر الباخرة ونزل إليها لجوب أرجاءها ولكنها في الواقع لم تكن تستحق عناء النزول فقد كانت طريقها فذرة وأهلها يبدو عليهم الفقر فرحمتنا قبل أن نتوغل ولكنها لم نرفض أن نرجع بأيدٍ فارغة كما يقولون فاشترينا شيئاً من الثماكه وهي كثيرة رخيصة الثمن هناك .

في صباح اليوم التالي ، وكان الحادى عشر لرحلتنا ، كنا نسير الى جانب شواطئ يوغوسلافيا وقد أخذنا نستمع لرؤية الباب الحديدى المشهور في ذلك الجزء ، وقد أخذت الباخرة تسير بنا في أجزاء دقيقة من النهر تنحن وتضيق بسرعة حتى كاد يخيّل البيا أحياناً أن الماحرة قد ضلّت طريقها وأنها وصلت إلى جزء ممدود في النهر **وهما قريب تصطدم** بذلك الحال الشاهقة التي كانت تقوم في وجهنا وقد كست الأشجار سفوحها ... ولكنهم صرخوا ما كانت تمنحى هي الأخرى مع النهر قبل أن تدرك الجبال أو تلمسها وتسهل الملاحة هناك أو بالأحرى لحملها بمكة أنداً القوم جسراً من الصخر القوي عند منتصف النهر وأحلوا الجزء الواقع بين هذا الجسر وبين شاطئ يوغوسلافيا من الصخور والجنادل التي كانت تعترض المجرى حتى صارت الملاحة فيه سهلة — وصار هذا الجسر دليلاً يهدي السفن إلى المنطقة التي يجب أن تملكها في هذا الجزء من النهر إذ أنه إلى يسار الجسر ظلت الجنادل والموانم قائمة كما كانت .

الملاحة في هذا الجزء من الدانوب شديدة الخطر إذ المسحبات فيه كثيرة كما قلت والدوامات قوية والجنادل متعددة ولولا علامات خاصة أقيمت على أخشاب طافية على الماء لارشاد السفن لتعذر عليها اجتياز ذلك الجزء .

ولم تخرج السفينة من هذا الجزء إلا بعد سير ثمانى ساعات كاملة أخذ شاطئاً النهر بعدها في الانفراج وهكذا حلقتنا البسّاب الحديدى بمنظره الساحرة الدائمة التي لا تسمى ... وخلفنا ورائنا شواطئ رومانيا الجميلة التي أبت إلا أن تودعنا حتى هذا المكان مبلّعة منها في الكرم ... وطلب منا هنا أن نؤجر ساعتنا ساعة فامة حتى تتفق مع زمن وسط أوروبا .

وفي مساء ذلك اليوم وصلنا إلى بلغراد عاصمة يوغوسلافيا ولكنها كانت أقل كرمًا من بلاد الدانوب الأخرى فلم يسمح لنا المسئولون بالنزول منها ولو لحظات بحجة أن جوارات سفرنا لا تحمل

نصريها بذلك . فظلنا في الباخرة أمامها فنظر إلي أنوارها المتلاثلة وإلى أهلها بحمرة حتى قامت بنا الباخرة تشق طريقها في الماء من جديد .

تمتد بلغراد أو يوجراد كما يسميها أهلها مسافة طويلة على النهر . وقد وجدنا شيئا من المزاء في البقاء على ظهر السفينة نتفرج على المدينة من بعد حتى تأخر الليل فأوينا إلى مخادعنا . وفي صباح اليوم التالي كنا لا نزال في عرص الدانوب ولكننا كما قد اجتزنا شواطئ يوغوسلافيا وبدأت سهول المجر تمتد على يميننا منبسطة زاهرة . وحوالى الساعة الثالثة بعد الظهر وصلنا إلى قرية بحرية اسمها موهاتشي مشهورة بمحدث إحدى وقائع الحرب العظمى عدها فوقعت السفينة ونزلنا منها لنسير في طرقاتها ونشترى بعض الصور وأخيرا عدنا فوجدنا الباخرة قد ذهبت لاحتضار ما يلزمها من الفحم فبقينا في مشرب قريب وحضر اليها بعض النور أو الفجر فأخذوا يسمعوننا أنغام موسيقاهم الشجية حتى عادت السفينة ومهلتنا ثم استأنفت رحلتها .



في فجر اليوم التالي ، وكان اليوم الخامس لملاحتنا في النهر ، وصلنا إلى بودابست ، عروس الدانوب وأجل المدن التي تقوم على شاطئيه بلا زاع . ولما كان لا بد لنا من أن نبقى في بودابست وقتا مناسباً حتى يمكن أن نراها كما يحب لذلك فإذنا بالبحرنة آتت على أن نساغر إلى فيينا بالقطار إذا دعيت بودابست ملكة الدانوب فهي تستحق هذا اللقب بحق فالدانوب يقسمها قسمين الأول بودا والثاني بست بودا هي المدينة القديمة التي تضم القصر الملكي الكبير وكنيسة التتويج ودور الوزارات والمتحف الحرى وتحملها الحدائق الزاهرة والعيون الطبيعية ، وقد كانت فيما مضى وهي تحت الحكم التركي تحوى ٤٠ مسجداً اندثرت اليوم وتحول معظمها إلى كنائس ومتاحف بل قيل لنا إن مسرح بودا كان في الأصل مسجداً أما المدينة القائمة إلى اليمين فهي بست المدينة المصرية الحديثة وأهم الدور الموجودة بها دار البرلمان المجرى وهي تمتد من أفخم دور البرلمانات في العالم أجمع والطاهر أنها أقيمت على ضفة الدانوب بمدينة Post في الجزء المقابل للمكان الذي يقوم فيه القصر الملكي بمدينة بودا ... لكي تكون دليلاً على قوة البرلمان يذكر الملك دائماً بأن الشعب هو مصدر السلطات .

ولعلنا تتساءل عن بودا وعن بست : إذا فكيف نعتبرها دائماً مدينة واحدة وتقول إن عاصمة المجر هي بودابست . الواقع أنها مدينة واحدة إذ تصل بينهما عدة قطار جيدة تميز عليها وسائل النقل المختلفة فتجمل الناس بسرعة من بودا إلى بست وبالعكس وأفخم هذه القطارات كلها هي قطرة البصببات .

وقد زرنا بعد ظهر اليوم الأول لوجودنا في بودابست جزيرة جبلية تقع في شمال المدينة بين ضفتي الهر واسمها جزيرة سانتامرجريتا، وهي تتصل بالمدينة بواسطة قنطرة. وجزيرة سانتامارجريتا من أجل المنتزهات التي وقع عليها نظري في العالم إذ هي عبارة عن مجموعة من الحدائق الملأى بالأزهار الجبلية ذات الألوان المختلفة وقد نسقت كلها في نظام بديع . وقد أنشأوا بها بعض المقارب والحمامات ولكن ذلك لم يفقدها هدوءها وجوها الخيالي المحتم . وإلى هذه الجزيرة يهرع سكان بودابست بأطفالهم وأولادهم طول اليوم وقد فرضوا للدخول إليها رسماً بسيطاً .

وفي صباح اليوم الثاني زرنا بعض الحمامات المشهورة في بودابست ثم زرنا القصر الملكي وهو كما قلت يشرف على النهر وفيه نحو ٨٦٠ غرفة تتجلى في كل واحدة منها عظمة الفن . ثم زرنا كنيسة التتويج وقد دعيت كذلك لأن الامبراطور فرانسو حوريف توج فيها .

وزرنا كذلك حصناً اسمه حصن صيادي السمك . خرجنا بعد ذلك إلى طرقات المدينة مجوياً فلم يستلقت النظر فيها غير كثرة الماديين والمنتزهات والقناطر المقامة فوق الدانوب لتصل بين المدينتين . وفي كل ميدان من الميادين تتعدد التماثيل الجبلية وقد يمكن أن تروى في بعض الميادين تماثلاً في كل ركن من الأركان وقد أقيم بعض هذه التماثيل فوق المرتفعات والمدرجات من حسن الحظ أن المجر كانت تحتل بعيد وطني من أعيادها هو عيد القديس اسطفان في مدة إقامتنا بعاصمتها ولذا فقد لاحظنا أن بودابست قد امتلأت برجال ونساء من الفلاحين والفلاحات وفدوا عليها من الأقاليم للاشتراك في هذا العيد وقد ارتدوا الملابس المزركشة ذات الألوان المتعددة فكان شكاهم غريباً طريفاً وقد كما تقابل جموعاً منهم ونحن نتفرج على أعلام بودابست يتفرجون مثلنا

وفي المساء ذهبنا إلى مسرح البلدية لنشهد قطعة مسرحية اسمها « باقة الورد » تمثل في فترة هذا العيد في كل عام بواسطة هؤلاء الفلاحين وهي أحسن التمثيلات ورقصهم القوي وهما أشبه بالغناء والرقص الشرقي . وقد كان سرورنا بمشاهدة هذه القطعة عظيماً إذ أنها كانت صورة للحياة المجرية القومية الوطنية وأصلها الشرقي وكان لابد أن نراها ما دمنا قد رأينا المجر الحديثة .

وفي صباح اليوم الثالث لوجودنا في بودابست زرنا متحف الفن وبه مجموعة قيمة من الصور وأنعمنا ذلك بزيارة المتحف الزراعي ولا أريد الإطالة في وصفه إذ فيه نحو ٢٥ قسمًا رئيساً منها قسم الغلات والتربة وطرق الري والحراث والدواجن ... الخ ويكنى أن أذكر أنه أعظم متحف من نوعه في العالم ، وأن المغفور له الملك فؤاد الأول رآه في عام من الأعوام فأبدى إعجابه العظيم به وأمر بأن يكون لحصر ، وهي التي تعتمد على الزراعة اعتياداً كلياً ، متحف مثله . فعلى غنمة متحف



بودابست أعد متحف فؤاد الزراعى الذى أتفق عليه نحو مليون جنيه وأشرف إخصائيون من المجر أنفسهم على إعدادة .

قبل أن أغادر بودابست فى طريقنا إلى فيينا أريد أن أذكر كلمة عن بودابست فى الليل فأنت إذا أقبلت عليها من النهر وجدت الانوار تتلألأ فى مدرجاتها المرتفعة كأنها الزبدات المضاءة فى حفلة العرس كما ترى القناطر تتلألأ بالانوار . . . هذا المنظر : منظر بودابست بالليل من نهر الدانوب من المناظر الخالدة التى لا يمكن أن تمحى من ذهن زائر الدانوب .  
والآن الى فينا ... وهى المرحلة الأخيرة .

### ( ٤ )

المسافة بين بودابست وفيينا بالقطار لاتزيد على أربع ساعات ونصف يمر المسافر فى خلالها بالمروج الخضراء والسهول المنبسطة ويرى الوديان والمراعى الملأى بالماشية والأغنام فينا بلد من أجمل بلدان أوروبا . . . وإذا سميت بوخارست باريس الصغرى ، وتميل عن بودابست أنها ملكة الدانوب فإن فيينا تحمل لقباً لا يقل رفعة عن هذين اللقبين وهو : بلد الفن والموسيقى . ولقد مر وقت على فيينا كانت فى أثنائه أولى البلدان الأوروبية وأجملها فقد كانت حاضرة إمبراطورية عظيمة هى إمبراطورية النمسا والمجر ، ولكن النكسة بعد الحرب العظمى أصبحت فى حالة يرثى لها إذ انتزعت منها أملاكها وقامت على أنقاضها دول جديدة ولذلك فهى تعاني اليوم شر أنواع انقراض والبطالة مما جعلها مطمح انظار الدول القوية . . . وعدد سكانها اليوم لا يزيد على مليون ينزل أكثر من نصفهم فى فينا فقط . ولكن فينا على الرغم من ذلك لم تفقد من روحها السابقة غير القليل ولولا العمال المتعطلون المتسكعون فى طرقاتها ولولا الذين يمدون أيديهم بالسؤال لقلنا إن فينا الحالية هى فينا قبل الحرب تماماً

شارع « الرنج » فى فينا أو الرنج ستراس كما يسمونه من أفسح الطرق أو المنتزهات فى العالم كله ، وقد لا يمدله إلا الشاتلنيزيه فى باريز وهو يحيط بالمدينة القديمة ويضم بينه الحدائق الجميلة والتماثيل البديعة لزعماء الموسيقيين الذين عشقوا فينا وأشرف على هذا الطريق دار البرلمان المسمى . زرت فى أثناء وجودى فى فينا القصر الامبراطورى العظيم وهو يقع فى قلب المدينة ، كما أنه مليء بأنواع الفن الخائز الفنية الثمينة من صور وأثاث وطنافس . وقد كان هذا القصر حتى سنوات قليلة مقر الامبراطور فرانسوا جوزيف الذى توفى أثناء الحرب العظمى وفيه نحو ألف غرفة . . . بينها الغرف التى كان لا يزال بها نابليون بونابرت مع زوجته ماري لويز حين يزورهم فرانسوا الاول

وزرت كذلك قصر شونبرون المشهور وهو بخلاف القصر الامبراطورى يقع فى خارج المدينة ويبعد عنها نحو ساعة بالسيارة وهو يعتبر من اهل القصور الملكية فى العالم ولا عجب فقد كان مقر ماريا تيريزا ، وحدائق هذا القصر لا تزال محتفظة بجمالها وزهورها ونافوراتها وبحيراتها مما يذكر الزائر بقصور فرساي الجميلة . . . ولكى تكون لديهم فكرة عن القصر اذكر أن نقوش الحجرات كلها كانت مكسوة بالذهب الخالص حتى تكاد تخطف الابصار ، وبه فوق هذا غرفة اسمها « غرفة الملبون » وقد سميت كذلك لأن نقفات تزيين جدرانها بالذهب — رهى حجرة واحدة بلغت الملبون ربال أى نحو ٢٠٠ ألف جنيه . والمطابخ فى قصر شونبرون كانت تشغل وحدها ١٤٠ غرفة .

وبعد زيارة القصرين ذهبت مع بعض الاصدقاء إلى حيث نشهد صورة حديدة لفيبا . . . هى فينا الضاحكة المرححة وهذه هى فينا التى تمثل خلق الشعب المسوى حقاً . . . وقد رأينا فيبا هذه فى حي براتر Prater . . . والذين رادوا مدينة الملاهي بقى أقيمت فى مصر أثناء المعرض الزراعى الصناعى الاخير — وأظن أنكم جميعا قد سارتم اليها مرات — يكونون فكرة عن Prater ولكن يجب أن نعلم أن Prater أكبر حجماً من مدينة الملاهي بعشرات مرات على الأقل ولعله أكبر ملهى من نوعه فى العالم . . . وقد رافقنى ان أشهد به نوع خاص مستعمرة الأقزام فقد كانت فريدة فى بابها حقاً . . . كما أننى لا أخفى أننى لم أترك لعبة فى تلك البقعة لم أشارك فيها حتى شعرت أننى قد عدت إلى الورا ١٥ طاماً على الأقل !

## ( ٢ )

من أعجب المشاهد التى رأيتها فى فينا مناظر البحيرات الداخلية فقد زرنا منجيا اسمه منجم Sea Grotto ، وهبطنا إلى المنجم أو المغارة فى طريق صخرى أشبه بمدخل الهرم . وقد تخلفنا فى داخل الأرض نحو ٢٥٠ متراً حتى أخذنا نحس بالبرودة والرطوبة وأخيراً وجدنا أنفسنا أمام بحيرة كبيرة تحت الأرض فكانت مفاحة غريبة ، وفظراً لظلام فقد وضعت بعض المصابيح الكهرومائية لكى نضىء المكان . وقد وجدنا هناك قارباً حملنا مع الدليل نجوب أنحاء البحيرة .

حول فينا بعض الضواحي الجميلة أخص منها بالذكر كوبرن Kobenzl وهى بقعة أعلى من فينا بنحو ١٢٠٠ قدم وتبعد عنها بنحو ساعة فى السيارة . ومن كوبرنل تظهر فينا الجميلة ممتدة معرضة أمام الأنظار .

وآخر بقعة زرناها فى النمسا سمرنج وهى تبعد عن فينا بساعتين ونصف ساعة فى السيارة وعند مايبدا.

التقى الذى يؤدى إلى إيطاليا والذى يخترق جبال الألب الشرقية ... وتمتاز بارتفاعها الذى لا يقل عن ١٠٠٠ متر . وطريق السيارات فى الجبل معبد يصعد بالسائح تدريجاً دون أن يشعر حتى ينتهى الأمر بأن يمجّد نفسه على القمة ، وقد أقبلت هناك الفنادق والملاعب وحوض السباحة الجميلة ويحتاج المرء إلى قلم الشاعر وخياله ووجبه لو شاء أن يصف المنظر الذى يراه من سمّنج فالبصر لا يقع إلا على غابات متصلة والنباتات والأزهار تنمو فى وسط الصخور وجداول المياه تنساب إلى الأودية فى خرير ناعم وكأنها تسبح بحمد الله الذى خلق فأبدع !



# بلادنا بين بلاد العالم

للاستاذ رمسيس شحاته

بلاد العالم فريقان فريق اشرق القديم المتوغل في القدم والعريق في المجد التاريخي الثالث وبلاد الغرب الناهض الجديد الذي يفيض بالحياة والنشاط والقوة

ومصر في مفترق الطرق بين هذه البلاد جميعا . لاشك أن مصر من بلاد الشرق وهم أقدم تلك البلاد قاطبة واكثرها توغلا في التاريخ واشدها صلة به ولكنها مع ذلك أقرب بلاد الشرق الحاضر الى الغرب والأخذ بأساليبه واصطناع حضارته

لمصر مركز ممتاز في الحافقين فهي لغرب تلك المنارة التي إمتضاء بصورها وأخذ عن حضارتها ونقل عنها المدنية والعلم والعمارة وهي ذلك القطر الذي كافح طويلا وجالد كثيراً حتى أغتصب من برائن الاستعمار حريته وحلم من مغالب المفتصب ببلاده وهي على ذلك سلسلة من الكفاح والنضال يتصل تاريخها القديم ومجدها الثالث بحاضرها ومستقبلها القوى الزاهر

ولمصر مركز ممتاز في الشرق أيضا هي مركز الحضارة في الشرق الأدنى ورأس الأمم المتكلمة باللغة العربية يتحدث بها وينسج على منوالها وهي اكبر هذه الأمم عددا وأغناها وأكثرها علما وتقدما وعمرا وهي الرعيمة المنصورة تنجها اليها العيون من كل حذب وصوب واضعة فيها الآمال الجسام والاماني العظام

وقد دفع هذا الموقف المفكرين الى التاؤل إلى اى الناحيتين تنجها الى الشرق القريب لنتلقى منه التأييد والعطف والتشجيع أم إلى الغرب نتلقى منه الدروس ونقل عنه المدنية والعمارة والصناعة والعلوم . وتنازرت الآراء فتأدى رجال التجديد بضرورة الانسلاخ عن الشرق انسلاخا تاما والاقبال نحو الغرب بكل قواها وتوجيه كل جهودها إلى إقتماه أثره والسير على منواله ومثاله ودعا رجال العروبة إلى نبذ الغرب كلية والاقبال على الشرق وإحياء آدابه ومدنيته وبعثها من جديد . ونشأت من تلك الدعوة فكرة الوحدة العربية واثمرت جهودها بما نراه من أقبال الحكومة على أحياء الأدب العربي ثم الفن العربي وخصوصاً موسيقى العربية ونشأ عن ذلك تلك الحى الحادة التي أصابت مرافقنا العامة . وفشت موجه التعصب للتقاليد العربية والتحزب لكل ما هو عربي شرقي

وقد اغضبت دعوة كل من الفريقين الفريق الآخر فأرأت تلك الحجة تمتد إلى مسألة فرعونيتنا أو عريبتنا وتناحر الكتاب فيما بينهم . فريق يدعى أننا عرب وفريق يؤكد أننا فراعنة وجعل كل يدلي بحججه واسانيده ومهما كان من شأن هذه الزوابع في فنيجان كما يسمونها فإنها تضع ايدينا على مقدار اختيار فكرة العروبة في رهوس ولا شك أن بعض الملابس والظروف ورغب بعض الجهات الخاصة بالظهور بمظهر المحافظين على التقاليد الشرقية العربية كانت الباعث الأهم في انتشار تلك الفكرة .

وعن الآن نعيد التساؤل من جديد . هل نتجه إلى الغرب أم نتجه إلى الشرق ؟ وكيف نتجه إلى أيهما؟ ايدفعنا الاتجاه نحو الغرب إلى كراهية الشرق ومقته وإزدراءه أو يدفعنا الاتجاه نحو الشرق إلى التعصب ضد الغرب الاندفاع والاستسلام إلى القناعات العربية الحادة مثلاً؟ ولا يخفى علينا ما في الأمر الأول من خطر وما ينطوي عليه من خطأ فاحش لا يؤدي بنا إلا إلى خلق عداوات لا مبرر لها وحصول نحن في أشد الحاجة إلى معونتهم وتعضيدهم . وقد يؤدي بنا إلى فقدان الكرامة الوطنية ولو إلى حد ما كما قد يورطنا في أمور لا تتفق وطباعنا ومزاجنا القوي بل وتوليئتنا الذاتي .

ولا يخفى علينا ما في الأمر الثاني من شر عظيم وما قد يجلبه علينا التعصب من إثارة الأحقاد والضغائن أو دعوة دول الغرب إلى الاتحاد التكاثف للقضاء علينا فاجبا نحن في فني عننا وما لا قبل لنا عليه

إذا كان من المستحب لدى الكثيرين منا أن نسلخ عن شرقيتنا لنسلاخا وأن نقبل على الغرب بكل فوائده من المستحب أيضا أن لا يكون ذلك بحيث يحبس منا الغرب حاجتنا الماسة إليه لانه ما كره غادر سوف لا يتأخر عن استغلال هذه الحاجة لتحقيق مصلحته وغاياته الشخصية انه وإن كان من المستحب لدى الكثيرين منا أن تقل على الشرق نمزوه ونكرمه ونجعله فيجب أيضا أن لا يدعونا ذلك إلى نسيان أنفسنا وانفعالنا تلك الخيالات التقليدية الواهية أو تلك الاحلام العرية والاماني الامبراطورية البعيدة عن حاجتنا وأمورنا الحيوية الهامة وهي كثيرة متعددة تحتاج الى عناية دائمة والنفات مستمر . لا يجب أن يدفعنا الاتجاه نحو الشرق الى التورط في مشاكله الخاصة بحيث تلهينا هذه المشاكل عن مشاكلنا نحن .

ويرى القاريه فيما تقدم أن الاختيار صعب وأن تقرير رأي فيه ليس بالسهولة التي يتصورها الكثيرون خصوصاً وانا عرضة لأن نحاسب أشد الحساب على أقل هفوة أو أقل بادرة تبدر منا في هذه الناحية . ولذلك جدير بنا أن نتأمل جيداً تلك المشكلة الجديدة وجدير بنا أن تضع نصب

أعينا أن ليس في شئون العالم قاطبة ما يمتنع أن يلهينا عن بلادنا ومشاكلها وحاجاتها كما أنه من الحماقة أن نتمادى الاساءة إلى قوم ليست بيننا وبينهم أي عداوة ما بل على العكس تربطنا بهم روابط جمة لها أهميتها

إن الشرق متعدد المشاكل ومن هذه المشاكل ما يمتاع بنا ومنها ما يمتاع بنا وما لاصقة لنا به ومن الحكمة أن لا يدفعنا العطف على الشرق وماله في قلوبنا من مكانه وما محبوبه به من رعاية إلى التورط في مشاكله الخاصة . هاهي فلسطين تطارد اليهود وهاهي تقاوم الانجليز وقد تنقلب هذه الثورة إلى حرب شديدة لا يعلم إلا الله مداها ونتائجها فهل يجوز لنا أن نتدخل في أمر كهذا بحجة أننا زعماء الشرق حتى ولو تورطنا فيه ؟ إن المصلحة العامة التي يجب أن تكون دستوراً ورائداً لكل أعمالنا تحتم علينا أن لا نتدخل في أمر كهذا إلا عند ما يمود علينا ضرر من تغفل السلطان اليهودي في هذه البلاد . وذلك لأسباب أولها تجنب الدخول في منازعات لا تتصل بنا ثم محافظة على شعور الدول الأخرى ذات المصلحة في تلك البلاد . وقد تلشب الحرب من جديد بين الفلسطينيين والحبش فهل يدعونا ذلك إلى مقاطعة **الطلاب** من حديد مع العلم بأنهم من صملائنا الكبار في التجارة ، أن المصلحة العامة تقضي بأن لا يكون تدخلنا إلا محافظة على مصالح البلاد فيجب أن يعلم كل من الحبش والطلاب أننا نمنى أولاً بحقوقهم . وأسأ على استعداد للذود عنها أما فيما عدا ذلك فنحن على الحياد . وهكذا في مختلف الأمور الأخرى

ولا يخفى على القاريء أنني أقصد بذلك أن يصدر كل طلبات البلاد الشرقية في المساعدة أو أن تعاملهم معاملة تدل على الجفاء وتخلو من العطف وحسن الجيرة وتبادل الشعور الطيب فإن ذلك مدعاة غلبة آمالهم فينا ولكنني ادعو إلى الحذر من التورط في المشاكل الماخلة لتلك البلاد والاستسلام لمواقفها في علاقاتنا بهذه الاقطار الشقيقة .

لا شك أن التعاون مع هذه البلاد قد يعود على مصر بأ كبر الربح وقد تغتنم منه البلاد غنا كبيرا ولكن لمثل هذا التعاون حدودا يجب أن توضح وأن تبحث من قبل على ضوء المبدأ المتقدم وهو مبدأ تفضيل المصلحة العامة والعمل بدستورها لا الجري وراء التزات أو الاستسلام إلى المواقف . ولا يضيرنا أن تعلم هذه البلاد أن هذه هي سياستنا فإن حسن المجاورة والعمل لمصلحة هذه البلاد مادام ذلك لا يتعارض ومصلحة بلادنا لا بد وأن يقابل منها بالتقدير السكافي .

إن في استطاعتنا استغلال رابطة اللغة أولاً ثم رابطة الدين ثانية في تقوية مركزنا بالنسبة لهذه البلاد أولاً ثم مركزنا العام ثانية .

ليس يضيرنا أن يتكون الحلف العربي ونشارك نحن فيه على أن لا يثير ذلك مخاوف وشكوك

البلاد الاخرى فلا شك أن في الاتحاد قوة ولاشك أن في كل من سوريا وفلسطين والعراق وتركيا وفارس من ناحية ثم طرابلس والجزائر ومراكش وتونس من ناحية اخرى اسواقا مفتوحة لمنتجاتنا أولا ثم أعوان لنا ثانية

إن هذه الناحية لم تستغل بعد وفي استطاعتنا أن نستفيد من الدماية في هذه البلاد اكبر الفائدة فعلينا أن نفكر في ذلك من الآن على ان نحذر أشد الحذر من أن يثير هذا العمل أحقاد الغرب وشكوكه خصوصا وأن مصالح بلاد الغرب في بعض تلك البلاد معروفة ومتعددة كل دول العالم الآن تسمى سعيًا حقيقيا متواصلا في اكتساب الحلفاء وهي تكاد تتقابل فيما بينها لذلك فلماذا لا نستفيد نحن من المركز الممتاز الذي شتمت به في تلك البلاد الواسعة الممتدة؟ أن رعاية حسن الجوار والمحافظة على شعور الوطنيين في هذه البلاد بالحد الذي تسمح به الكياسة السياسية الدولية ليس كسبا معنويا لنا فحسب بل ربما كان الخطوة الاولى نحو حياة أسعد وعصر ازهي وربما كان الحجر الاول في بناء مجد الوطن واستعادة سالف عزه وقوته أما من حيث علاقتنا بالغرب فيجب أن **نكون على أشد ما يكون من الحذر ايضا**

يجب ان لا نخضع بمقاهره فقد بدس لنا السم في الدسم ويجب أن نعلم حق العلم ان بين بلادنا أكثر من واحد تود من الصميم لو اتاحت لها الظروف القضاء علينا بل هي تحفز لذلك في كل وقت . وقد عودنا ذلك معه وليست موقعة نافارين بعيدة عنا والعظة التي نستطيع ان نستخلصها منها بالغة . يجب ان لا نكون هناك تافارين ثانية . ونحن نستطيع ان نمنع تكرار مثل هذه المآسي لو اننا اتبعنا سياسة حارمة في شئوننا ولم نفرط في حقوقنا لاحد أيا كانت قوته

هذا ولا يجب ان يكون المجاهدون الى الغرب اتجاه السائل المحتاج يستجدي العطاء ولكن اتجاه من يستوى ديننا له في تلك الدول . لقد علمت مصر العالم بأسره الحضارة ولقنته اصول المدنية والعلم فلماذا دار الزمن دورته افلتت هذه الكنوز بمجملتها من يدها وهي اد تبحر عنها في العالم أنما تبحر عن متاعها فقدته بمرور الزمن . أما أن تتجه الى الغرب اتجاه السائل المستجدي فان ذلك فضلا عن كونه معره ومذلة لنا فانه داع لشح الغرب ومنه

يجب ان يعلم الغرب أننا لا نقتضي اثره في كل شئونه مقلدين له حتى في اخطائه وزلاته بل يجب ان يعلم أننا نبحث عنده عن جاجيات لنا سبق ان سلخناها له ونحن نتخيرها من بين ما يملكه فليس في ذلك حط لكرامتنا ورد لمرتتنا القومية فحسب بل احتفاء لنا من الوقوع في اخطاء الغرب والزلل في هفواته ومزلاته

جدير بنا بعد ذلك ان لا نتمتع اثارة احقاد الكامنة والمس بكرامته او الخط من قيمته فان

في ذلك مدعاة ومجلبة لمشا كل نحن احوج الناس الى تلافيا كما أنه قد يكون سببا الى غرورنا بانفسنا  
مما لا يستقيم ومصلحتنا القومية العامة

هذا هو الشرق وذلك هو الغرب ولو تأملنا بمجمل ما يجب ان تكون عليه سياستنا من معاملة  
أيهما لربنا انها تتلخص في الدستور الاتي

الاعتدال هو رأس النجاح وضمان الخير بيننا المبالغة والشطط مطية الزلل والخطأ وآفة الرأي  
التعصب

اما الجدر فوسيلة النجاة مما في العالم من شرور واحقاد وأضغان بيننا التورط والاندفاع بمجبة  
للهوم والمنازعات والبلايا

واليقظة هي آية النشاط ودليل الحكمة والكياسة وسبيل الانتقال من نصر الى نصر ومن فوز  
الى فوز ومن عهدة الى عهد فوق انها سلاح ماض في دفع كل شر طارئ هاجل

يجب ان يكون دستور سياستنا على الامم فاطمة مبنيا على الاعتدال واليقظة بعيدا عن التعصب  
والمبالغة او التورط والاندفاع او التعريط والتسلم

يجب ان يحبنا الشرق وان يجابنا الغرب وان يشترما وبذلك نستطيع ان نعيش في سلام وأن  
نهيء لانفسنا طريق الحياة الحديدة مستعبدين ما هات لنا من مجد وعظمة فالدة

رئيس شحاته



# مسألة اللغة العالمية

للاستاذ نقولا يوسف

تاجور — .. والان هل تعتقد ان هناك ميلا الى ايجاد لغة واحدة للاسانية  
و؟ — ستفرض هذه اللغة على الانسانية يوما ما ، ان الحاجة الملحة هي التي ستضطرنا الى  
ايجاد لغة عالمية ..  
تاجور — اوافق على ما تذهب اليه ..

( \* )

وما يذهب اليه الاديبان الكيران في النبعة السابقة المقتطفة من حديث دار مرة بينها يعتقد  
به ايضا مفكرو هذا العصر الذين يمالحون هموم الانسانية ويستقلها روح متحررة من انواع  
التعصب ، ذلك لان الحاجة اليوم الى لغة يههما جميع الأمم أصبحت أشد مما كانت عليه في العصور  
السابقة

فان على هذا الكوكب الارضى الصغير شعوبا مشتتة يبلغ عدد أفرادها نحو الى مليون  
نسمة تتكلم بلغات ولغيات تزيد على الالفين وقيل تبلغ الثلاثة الاف . اعنى ان لكل مليون  
نسمة في المتوسط لغة خاصة بها علم وجه التقريب وهذا المليون كما نعرف أقل بكثير من سكان  
القاهرة .

وفي احصاء ذكرته الصحف مرة أن عدد لغات العالم ٢٧٩٦ لغة منها ٦٩٠ لغة مهمة . وفي  
اوربا من هذا المهم ٤٨ لغة وباسيا ٢٥٣ وبافريقيا ١١٨ وفي الأمريكتين ٤٢٤ وفي أوقيانيا  
١١٧ لغة ..

وفي اوربا التي توازي مساحتها مساحة الصين نحو ١٢٠ لغة ولغوية ، بل انهم يعدون للهند وحدها  
٢٤٠ لسانا و ٣٠٠ عجمة اهمها ثلاثين لغة يشتق منها نحو عشرين لهجة ، وقد يكون الفرق بين بعض  
هذه اللغات والبعض الآخر كالفرق بين العربية والفرنسية .

وقد مات عدد من اللغات في مر القرون ولكن الناس على الرغم من هذه الكثرة الهائلة  
للغات الموجودة اليوم ما زالوا يحاولون احيائها . واللغتين للاتينية والاعريقية القديمة ما زالتا

تدرسان في معاهد العلم بأوربا لما تشتملان عليه من غلغات أدبية هامة وكان الواجب أن يقتصر على دراسة غلغاتها مترجمة الى اللغات الحية وأن يختص الاثريون وخدم في دراستهما كما يحدث في دراسة الهيروغليفية والديموطيقية وغيرها ... ثم ان اليهود يعملون اليوم على احياء اللغة العبرية في حركتهم الصهيونية مع انها ماتت منذ ازمان ، وكذلك الاثراك في هذه السنين الاخيرة بدافع التطرف القومي على احياء الالفاظ التركية الدارسة وحذف الالفاظ العربية وغيرها منها. وكذلك يفعل المنادون بالعروبة على احياء الالفاظ الجاهلية الميتة والنش عنها في الدواوين المهجورة يحدث كل هذا كله بينا اللغة الانجليزية ترحب بكل لفظة أجنبية جديدة شائعة تضيفها الى قاموسها فتزداد بهذه المروية وبهذه الرحابة قوة واتساعا

وهذه الكمية الهائلة من ثلاثة الاف لغة يتحدث بها سكان هذا الكوكب الصغير الذي تطوف اليوم حوله الطائرة في سبعة ايام ، هي من اكبر العقبات التي تعوق اتحاد الشعوب وتفاهمها والتقرب بينها في سبيل مصلحتها الخاصة ومصلحة الانسانية العامة . ولو ان العلم وما أتى به من تقدم عظيم في وسائل النقل قد جعل من العالم قرية كبرى ذات مصالح مشتركة وسهل امر السياحة والتبادل التجاري والتقاي ، وجعل من ضرورات العصر الحاضر إيجاد لغة عالمية تفهمها كل الشعوب لتسهيل ذلك التفاهم وذلك التقارب . كما أنه أظهر حلياً أن هذه الكثرة الهائلة للغات اثر من اخطاء الماضي وان لتطور ان يقلل من هذه الكمية بالتدريج حتى يتحقق حلم الانسانية بالاكتفاء بلغة واحدة لكل كوكب مسكون

ولكن الاتفاق على لغة عالمية يتعلمها ويتفاهم بها كل الشعوب ، لا يعني اليوم استغناء تلك الشعوب عن لغاتها القومية لأن كل امة على الارض حتى القبائل النائية باستراليا وافريقيا تعتقد بقداسة لغتها وفضليتها على سائر اللغات ولا سبيل الى احتزال هذا المقدار العظيم من اللغات الا باسراضها تدريجياً بحكم بقاء الاصليح حتى لا يبقى في الارض الا ما ينفع الناس  
انما المفروض الآن في مسألة اللغة العالمية ان يتعلمها كل شعب الى جانب لغته الاصلية فتكون حلقة الاتصال بين جميع الامم ..

« »

ان ما يختلف تعصب كل شعب للغته واعتقاده بتفوقها على سائر اللغات هو دراسة أصل اللغات وتطورها

والذى يراه علماء اللغات ان الانسان في بدأ عهده كان ابكم يتفاهم بالاشارات اى اشارات اليد والرأس وانهم حرركات اعضاء الجسم وذلك يقبل ان يتنطق باللسان .. وما زالت اللغة اشارية منتشرة الى الآن بين القبائل الحمجية وبعض تلك القبائل يتوسع فيها حسب حاجته باستخدام النار والدخان والقر على الطبل الصغير .. كما ان اللغة اشارية ما زالت واسطة التفاهم بين الطير والحيوان فلاشارة في رأى علماء اللغات هي اقدم لغات البشر كما ان الرسم أقدم كتاباته

وكان الانسان الاول في نفس الوقت يستطيع كما يستطيع سائر الحيوان والطيور أن يخرج أصواتا مختلفة المعاني كصراخ الألم والفرح وغيره ، فالصوت سبق النطق ، والفناء سبق الكلام . ويرى السير تشارد باحث في شرحه لهذه النظرية ان الانسان كان يلجأ الى محاكاة الحيوان والاشياء في اصواتها وحركاتها للتعبير عنها . فاذا كان في الظلام أو اذا كانت اليد مشغولة ولم يستطع التعبير بالاشارات لجأ الى احراج اصوات تشكل باختلاف حركات الفم واللسان ومن طبيعة الانسان ان يحرك لسانه وشفته اذا عمل شيئا بيديه كما يشاهد ذلك في الاطفال حينما يتلهون الكتابة وتوضيح ذلك يقول ان الانسان القديم كان يبرر مثلا من الارتقاء برفع اليد فاذا كانت يده مشغولة عبر عن ذلك برفع شفته السفلى فاذا كان في الظلام رفع شفته السفلى وأخرج صوتا هو الكلمة للمعبرة عن معنى الارتقاء .. وهكذا

وعلماء الفيلولوجية ، أي مقارنة اللغات ، يستدلون اليوم على مشأ اللغات بدراسة لغات القبائل الوطنية باستراليا وكذلك بدراسة اصطلاحات القروء وأصوات الأطفال البشريين وهكذا تكونت الألفاظ الضرورية عند كل قبيلة وشعب ، وكان لاختلاف التعبير عن المعاني لدى كل قبيلة أن اختلفت الألفاظ . ثم أخذت الألفاظ تكثر وتكون لغات على مراحل العصور ولكثرة الحاجات واتساع مرافق العيش . ثم كانت الهجرة وحدثت الغزوات فامتزجت اللغات واشتق بعضها من البعض الآخر ...

فاللغة السريانية مشتقة من الكلدانية وهذه مشتقة من الارامية أو البابلية ، واللغة العربية كما يقول العالم احمد كمال باشا مشتقة من اللغة المصرية القديمة .. واللغة المصرية كان لها أثر ما زال باقيا في لغات العالم .. وقد اشتقت الايطالية عن اللاتينية .. أما لغة الفرنسية فهي اللغة اللاتينية التي نقلتها أمة الغال وحورتها .. واللغة الهندستانية هي مزيج من الفارسية والبرية والهندية القديمة .. وهكذا

أعني أن اللغات كلها تعود إلى أصل واحد .. وانها ذات قرابة ونسب .. ولا توجد لغة يمكن أن يقال فيها أنها مستقلة بذاتها منذ الابد وعلى ذلك فليس هناك لغة تفرد بالقداسة والاستقلال ..

وأن كل لغة مازالت إلى اليوم خاضعة لمؤثرات اللغات الأخرى .. وأن هناك لغات عديدة انقرضت وقام على انقاضها لغات جديدة .. وأن اللغات قد طهرت لتسد حاجة الإنسان في التعبير عن أفكاره والثقافة مع غيره وكل لغة تسد هذه الحاجة تكفي الإنسان في حياته .. وأهل الأرض كلهم سيكتفون لغة واحدة في المستقبل الذي لا يمرض متى يكون ..

أما حاجة البشر إلى لغة دولية يفهمها الجميع فقد بدت في رؤوس عدد من المفكرين الراغبين في الإصلاح ولكنها لم تند في قوتها كما بدت منذ القرن الماضي إلى الآن لازدياد الحاجة إليها بعد أن صغر العالم في نظر التقدم العلمي ، وبعد أن اشتبكت مصالح الدول وسهل على هذه الأرض بسهولة وسرعة .

في القرن التاسع عشر ابتكر أحد أدباء الروس لغة سهلة اسمها «فولابوك» لتكون المحاولة الأولى للغة العالمية .. فجاء طيب رومى اسمه «زامنهوف» فدرس هذه اللغة المستكرة ولاحظ فيها بعض النقص فاستبدل بها لغة أخرى اقتبس قواعدها من الفولابوك وأدعاها عام ١٨٨٦ باسم الاسبرانتو وجعلها من السهولة وقلة أصول المفردات بحيث يمكن لكل من اللغات الأوروبية أن يتعلمها في مدة وجيزة. وتتخذها لغة محايدة تنفي عن تعلم العديد اللغات ..

وكان ظهور الاسبرانتو باعثا لا شك لثبات لغات أخرى على طريقها لتكون أكثر كالا فظهرت لغة اسمها صاحبها « اديوم نوتال » أي اللغة الجديدة . ثم لغة أخرى اخترعها الأستاذ هيمبرسون الدانمركي ودعاها « نوقال » وقد اشتقتها من اللاتينية الإنجليزية وأدخل فيها ألفاظا كثيرة سهلة من لغات أوروبا ...

ولكن لم يمش من هذه اللغات المصطنعة غير الاسبرانتو التي انتشرت في نصف قرن فقط انتشارا كبيرا وطهر لها أنصار متحمسون ترجوا لها أم أدبيات اللغات الأوروبية وأنشأوا لها قاموسا كان يتألف في الأصل من ٢٦٤٢ كلمة ووضعوا لها نحوا سهلا ثم أنشأوا بها بعض الصحف والمجلات وساعدتها بعض الحكومات على الانتشار مثل الحكومة الفرنسية .. ويمقد أنصار الاسبرانتو كل عام مؤتمرا في بلاد مختلفة كان أحدثها المؤتمر الثامن والعشرين الذي عقد بفيينا في أغسطس ١٩٣٦ تحت رئاسة شرف رئيس جمهورية النمسا وقد حضره عدد من عظماء النعماء ورجال حكومتها وكان به أكثر من ألف مندوب يمثلون ٣٥ أمة وكان يمثل مصر الأستاذ نصيف محروس رئيس جماعة الاسبرانتين بمصر الذي رفع عند عودته تقريرا إلى وزارة المعارف المصرية دعا فيها إلى وجوب اشتراك الحكومة المصرية في مؤتمر الاسبرانتو في سبيل الهداية لمصر على الأقل

وقد سبق ان عقد مؤتمر الاسبرنتو في السنة التي قبلها بروما حيث حضره ١٤٥٠ مندوباً عن ٣٥ أمة وفي ١٩٣٤ عقد باستكهلم وقبلها بكولون وقبلها بباريس حيث حضره ٢٥٠٠٠ مندوباً ومع جلال هذه الفكرة وسحوها أي فكرة الاسبرانتو الذي يرمز بها إلى اللغة العالمية المنشودة فإن هناك عقبات كثيرة في سبيل انتشارها وفي سبيل تحقيقها وأهم هذه العقبات هي :

١ — منافسة اللغات الأوروبية العظمى لهذه اللغة وفي مقدمتها اللغة الانجليزية التي بدأت تتخذ مكانة اللغة العالمية المطلوبة ولا يمكن أن تقف الاسبرنتو في وجهها

٢ — لم تلق الاسبرانتو الاقبال المنشود لدى الكثير من الامم ولم يرغب فيها غير أفراد فلائيل من الهواة

٣ — فقر الاسبرانتو الادبي بالنظر إلى حداثة عهدها بينما هناك ثروة علمية وأدبية عظيمة في بعض اللغات الحية

٤ — التمرة الوطنية الحادة في هذا العصر مما يدفع كل أمة إلى تفضيل لغتها على سائر اللغات ورغبتها في جعل لغتها القومية لغة عالمية دون غيرها ..

٥ — ان تقرير اللغة الدولية من اختصاص عصبة الأمم ولا بد أنها ستدرس هذا الموضوع يوماً ما وتضع القرار الذي تتقبله جميع الامم ، ويكون عمل العصبة هذا خطوة كبرى في سبيل السلام العام الذي تعمل اليه

٦ — ان عدد الذين يقبلون على تعلم الاسبرنتو في نقص مستمر ولذا فهي في حالة احتضار يضع به كل أمل في مستقبلها وتحقيق الغرض من وجودها

• • •

فاذا كانت الحال كذلك فلا بد أن يجيل النظر في لغات الارض وعددها الذي يقرب من الثلاثة آلاف لئلا نرى أيتها أصلح لأن تكون اللغة العالمية المنشودة . وهنا لا بد أن تنتهي أوسع لغات الارض انتشاراً لأن في هذه اللغة بعض قوتها وصلاحياتها لأن تكون اللغة الدولية ، وهنا نجد أمامنا أربع لغات ستفوز منها واحدة

١ — اللغة الصينية التي يتكلم بها أكثر من أربعمائة مليون من البشر خمس سكان العالم ، ولكن الواقع أن لغة الكتابة هي اللغة الواحدة عند جميع الصينيين لأنها مثل اليابانية تصور الأفكار أكثر مما تصور الحروف . أما لغة التخاطب فتختلف لهجاتها في مختلف بقاع الصين . ويختلف نطق سكان الجبال عن نطق أهالي المدن ثم ان اللغة العامية مختلفة اللهجات إلى درجة يتمذر فهمها في جهات مختلفة .. وفوق ذلك أن اللغة الصينية مازالت مجهولة لدى بقية الامم ومن الصعب بل

من المستحيل أن تصبح لغة عالمية

٢ - اللغة الانجليزية : وهي أوسع اللغات الاوربية انتشارا

٣ - اللغة الفرنسية : ويتحدث بها سكان فرنسا وجنوب بلجيكا وغرب سويسرا وبعض سكان كندا غير سكان المستعمرات الفرنسية وهم أكثر من ستين مليوناً . وبالجملة فإن من يتكلمون الفرنسية كلغة أصلية أو اضافية يزيد عددهم على مائتي مليون تقريبا .

٤ - اللغة الاسبانية : ويتحدث بها أهل أسبانيا وهي واسعة الانتشار في الأمريكتين لاسيا وأمريكا الجنوبية ولكن لن يتاح لها التفوز لتأخر الاسبانيين في الحركة العلمية والنشاط الادبي .

\*\*\*

لم يبق أمامنا إلا الانجليزية والفرنسية الواسعتي الانتشار إلا أننا إذا قارنا هاتين اللغتين أحدهما بالآخرى من وجوه عديدة فازت الانجليزية . والذي يحسمنا على الظن بأن اللغة الانجليزية هي اللغة الدولية المستقبلة الأسباب الآتية :

١ - هي لغة التفاهم في الحزر البريطانية وعدد سكانها نحو خمسين مليوناً وأمريكا الشمالية وهم نحو ٢٠٠ مليون تقريبا ثم استراليا وزيلنده الحديثة . وجنوب امريكا

٢ - اتساع الأملاك والمستعمرات البريطانية التي تشمل خمس مساحة الأرض وفي هذه المستعمرات يكثر الانجليز وتنتشر لغتهم حولهم . فإن عدد أهالي الامبراطورية البريطانية يزيد على ٥٦٠ مليوناً يضاف اليهم ٢٠٠ مليوناً من سكان أمريكا ومجموع ذلك أكثر من ثلث سكان العالم

٣ - ان الأمريكيين يعملون على نشر هذه اللغة أكثر من الانجليز أنفسهم لا تساع تجارتهم وازدياد سكانهم .

٤ - أنها لغة التجارة أيضا في الشرق الاقصى والهند ، وهي لغة التفاهم بين الهندوس ، وهي اللغة الاوربية التي يدرسونها في مدارسهم إلى جانب لغتهم كما هو الحال بحصر والسودان والعراق وفلسطين . وعدد الهنود كما نعرف نحو ثلثائة وخمسين مليوناً يزداد من يعرف الانجليزية منهم سنة عن أخرى ..

٥ - هي اللغة المفضلة عند اليابانيين ، يتعلمونها الزاميا في مدارسهم ويتحدثون بها في مجتمعاتهم إلى جانب لغتهم وفي بعض بلاد اليابان تصدر جرائد انجليزية مهمة . وهي أيضا لغة الزامية بالمانيا وغيرها من الامم الناهضة

٦ - ازدياد عدد الطلبة الذين ينزحون من جميع الامم إلى انجلترا والولايات المتحدة لطلب

العلم في جامعاتها ومدارسها والتخصص في ماملها ومعاهدها

٧ — اريد عدد الكتب والمجلات والجرائد الانجليزية التي تطبع منها عشرات الملايين، في كل يوم وتوزع في جميع انحاء العالم

٨ — السيد الناظر يطلق معظمه بالانجليزية ، وأعظم الشركات المينائية في العالم هي الشركات الأمريكية ولذا فهو وسيلة عظيمة لنشر هذه اللغة لا سيما بين محبي السينما الذين لن يفهموا الا حاديث أو يتمتعوا بالمناظر حتى يعرفوا الانجليزية..

٩ — انتشار موسيقى الجاز ولاغاني الانجليزية في جميع انحاء العالم حتى أنها وصلت الى زنج افريقيا

١٠ — انتشار الالعاب الرياضية على اختلاف أنواعها ، وكل اصطلاحات هذه الالعاب انجليزية تلقاها الامم ولا تترجم ، كما نرى بمصر في اصطلاحات كرة القدم والتنس وسائر الالعاب

١١ — انتشار الراديو اليوم بالحق وأميراً انتشاراً هائلاً وهو يذيع الخطب والاقوال باللغة الانجليزية وتصل كلها إلى جميع انحاء العالم حيث انتشر الراديو في كل مكان ..

١٢ — مرونة اللغة الانجليزية واقتباسها كل ما يرونها من الالفاظ الاجنبية مما جعلها متجددة الشباب آخذة في الاتساع لا تعتمد على لغة أخرى في تفهم الاساليب العلمية ..

١٣ — سهولة قواعدها التي يمكن للاجنبي أن يحدقها في وقت قصير بالنسبة الى اللغات الاخرى وهم يدعون اليوم الى تبسيط الهجاء الانجليزي حتى يطابق السمع ولا يكون به شذوذ وكذا تبسيط القواعد اكثر مما هو

١٤ — ان اللغة الانجليزية هي اليوم لغة السياسة لاسيما ان الانجليز هم محور السياسة العالمية ولذا نرى جميع الحكام والساسة يتكلمون الانجليزية ونرى أنها اخذت محل كل لغة اخرى

١٥ — حب الاسفار والسياحة عند الانجليز والأمريكيين وانتشار تجاردهم في جهات الارض كلها حتى تغلغت بين القبائل الهضبية ..

هذه الاسباب تجعل اللغة الانجليزية اليوم في مقدمة اللغات انتشاراً وقوة وهي بذلك كما يرجح ستكون اللغة العالمية التي سوف يتعلمها كل انسان الى جانب لغته حتى يأتي اليوم الذي تقتصر فيه الانسانية المتحدة على لغة واحدة

# الطالب والمدرسة والوطن

للدكتور وطسن مدير الجامعة الامريكية



تحت هذا العنوان ، وفي هذا الموضوع القمناض ، أريد أن أبحث في ايجاز المرحلة الحقيقة التي نجنازها الامة المصرية اليوم ، ونصيب التربية من هذه المرحلة ، وبخاصة ما قد تستطيع الجامعة الامريكية أن تؤديه من الخدمات الجليلة ، المقبلة بروح الصداقة والوداد في هذا السبيل ، وأن تلك هذه الخدمات متواضعة في نوعها ، محصورة في مداها

ولنستهل البحث أولاً بقياس الحياة القومية الجديدة التي تخضعت عنها سيادة البلاد واستقلالها ولنتعامل عن الفروق الناجمة من هذه الحياة الاستقلالية ، وما أصبح الآن بفضلها مستطاعا مما كان قبلها وبنيها ممتحيا . وواضح أن هذا **المؤال يمكن** أن يكون أحد اثنين : أولها ذلك الذي لا يمتيه من هذه الحالة سوى اشباع ما ربه القانية ، وما يحنيه هو في هذا الموقف من النفع المادي ذلكم الذي لا يجوز بحظاطره سوى الوظائف التي تفتح أبوابها أمامه ، وما ينجم عنها من زيادة في المرتب وتقص في ساعات العمل . هذا هو الأناى الذى يدور محور تفكيره حول هذا الهدف . ترى ما الذى يعود على انا من هذا الاستقلال ؟ وإذا اتخذنا البلدان الاخرى مقياسا ، بما في ذلك بلادنا — ولايات امريكا المتحدة — فإن عدد الذين يقتسمون أبواب الحكومة لغنم ما يستطيعون من الغنائم ليس بالقليل ، وليس ثمة ما يصدع من اشباع مطامعهم الاشعبية سوى سحق الرأى العام بيد أن هناك والحمد لله ذلك النوع الثانى من أبناء الامة ، الغيور على وطنه ، الذى يتجه تفكيره شطر طريق مبادئ النوع الاول . ذلكم هو الرجل الذى يسائل نفسه . ما هى المسؤوليات الجديدة التى تترتب على هذا الاستقلال ، فأتحمل نتائجها ؟ وأنى لى أن أقوم بنصيبى منها ؟ وللجابة عن هذا السؤال بروح الاخلاص المنزه عن الغرض ، خليك بنا أن نحلل الموقف وأن نبدى ما عن انا من الملحوظات الآتية

يلوح لى بادية ذي بدء أن فوز مصر باستقلالها القام لن يحدث في نظام حكومتنا تغيرا يذكر وهذا أمر يظهر في غاية الغرابة ، اذا وازنا بين مصر اليوم وولايات امريكا المتحدة في بدء عهدها بالاستقلال ، كانت تلك البلاد في ذلك الحين تتألف من ثلاث عشرة ولاية مستقلة بعضها عن بعض وكان عليها ايجاد حكومة مركزية تضمها جميعا تحت لواء واحد . ولكن عليها أن تضع دستورا



وتتشكل مجلسا نيابيا . وتنتخب رئيسا للجمهورية ، وتنفذ قاعدة في واشنطن ، وتؤلف وزارة وتنظم غير ذلك من المصالح المتغابلة التي تدير دفة الأعمال في الحكومة الاتحادية الجديدة بيد أن مصر لحسن الحظ أسعد حالا ، وحالتها في هذه الناحية أقل تعقدا ، ومهمتها أخف عبثا فهي تتمتع بدستور راسخ البيان ، ولها ملك شاب يبشر بمن طالعه بعمر مديد ، ولها مجلس نيابي قائم بأعياء وظيفته خير قيام ، ولها وزارات حنكتها الأيام وأكسبتها دراية وخبرة منذ عهد بعيد . وليس ثمة مما محتاجه البلاد من الأنظمة الجديدة ما يستحق الذكر ، وليس هناك ما يدعو لإعادة التنسيق في أي مرفق من هذه المرافق . وبلاد بلغت نظمها هذه أمثلة السامية ، تبشر بسجاح أكيد في حياتها المستقلة الجديدة

ورغم ذلك فليس هناك من يستطيع اغفال الحقيقة الواقعة ، وهي أن هذا الاستقلال حادث تاريخي مشهور ، له اسمى منزلة في حياة الأمة المصرية . وتظهر أهمية هذه الصفحة الجديدة في تاريخ وادي النيل الخالد جلية للعيان ، إذا ما شبهنا مصر بشب يفادر لأول مرة منزله وامرته وينزل في ساحة العمل مغامرا طلبا للرزق ، وإمامه شيخ المسئولية مائل ، فلا يفتأ مناجيا نفسه : هل ترى يكون نصيبي انقشال أم الحجاج ؟ غير أن ابتهاجه بحياته الجديدة وحماسته المتقدة لا تقلان عن خشيتيه من أعياء المسئولية ، ذلك لأنه بدأ يشعر حقا بأنه هو المسيطر على نفسه ، المالك لذاته . ولا يبرح هذا الشعور أن يقوى في نفسه المزجة الصادقة فيقبل التضحية بصدر رحب املا في النجاح مغامرا في لجة هذه الحياة الجديدة التي أخذ يخوض غمارها لقد عدت الى مصر منذ شهرين بعد غيبة قصيرة في أميركا ، فأذهلني ما رأيت من دلائل الروح الجديدة منبئة في طول البلاد وعرضها ، وعلى الأخص في الناشئة . وأول ما شاهدته من هذه الروح كان في طلبه هذا المعهد حيث سمعت جميعهم ينشد في حماسة وقوة النشيد الوطني ، وشهدت بعد ذلك في دور السينما تصفيقا حادا كلما خلق العلم المصري على ساريل المباني والتصور. هذه وأمثالها تنهى بالشعور القومي الذي يمكن تسخيرهم لعمل والخدمة الى درجة عظيمة المقدار

ولا مندوحة في أن هذه الروح الجديدة التي تبلغ فيها الحماسة والوطنية ببلغها تقتدر الى التوجيه والارشاد . لقد سبقت الإشارة الى ذلك الشعور الانائي الذي يتخذ الاستقلال سلما يصعد به الى ما ربة الذاتية . ولا يفوتنا ان نؤوه كذلك بأن الوطني الملتهب حماسة مع بعده عن الانانية ، وبراءة مقصده ، في حاجة ملحة الى هذا التوجيه وذاك الارشاد ، والا استحوالت وطنيته هتافات وخطبا جوفاء ومظاهرات بغير عمل ، وبدت في ثوب قومي قشيب يبهير ظاهره الابصار ، وبحلت فيه مظاهر الابهة والعظمة والادعاء ، وقد تتخذ الروح المسكرة لوائح الفخامة لجرد الزينة لا أداة

لذود عن جياض الوطن

على أن هذه الروح الجديدة يمكن توجيهها الى القيام بأجل الخدمات نحو الامة كسكاخة الامراض الفتاكة التي حدث برجال القرعة العسكرية في سنة ١٩٣٤ - ٣٥ أن يرفضوا ٨٢ في المائة من الدين تقدموا لفرز العسكري ، وكتوافر الماء البقي في كل قرية مصرية ، وانشاء المدارس القروية الكافية للقضاء على الامية في المناطق الزراعية ، وتأسيس المصانع انقاداً للبلاد من خطر الفيضان العاطلين الذين لا يستطيعون السكب من الزراعة . وتطهير المدن من مهوى الرذيلة ، وازدحام المنازل الفقيرة بما كنيها ، مع خلوها من الوسائل الصعبة ، وانشاء الملاعب الترفيهية للأطفال والناشئين ، حتى يحب رجال الغد اصحاء بدنياً وخلقياً ، واخلاء الشوارع من المتسولين والاحداث الحمل ، وغرس المبادئ التي تعمل على تنمية روح التعاون والتضامن وحسن النية بين الامة ولا يخفى ما ينبغي أن يكون لمصر في هذا من التعصيب الوافر نظراً لوقوعها جغرافياً على مفترق الطرق العالمية

كل هذا يحتاج الى توجيه وأرشاد ورعاية من الطراز الاول ، في جميع مرافق الحياة القومية من اجتماعية ، واقتصادية وقضائية ، وتعليمية ، وسياسية . وبطرا لاهمية هذه المرحلة الجديدة التي تقطعها مصر في تاريخها الحديث ، فاب على استعداد تام أن توجه الهدف الى أقصى الأغراض وأعلى النبل ، طامسا كان زعماءها في كافة المرافق الحيوية يهتمون بالزراعة ، والبعد عن الغرض . وهنا تطلب المدرسة دوراً حطيراً . وكيف يتسنى لنا أن نبحث عن زعماء الغد خارج دور التعليم أسسوا الى أولاً أن أشد التبرة على الصفات التي يجب توافرها في الزعامة ، ومنها أن يكون بأفهم على الأغراض التي نحاول بلوغها بما نزاولة من الأعمال في هذه الجامعة

الصفة الاولى التي يجب توافرها في الزعامة هي التماسك القومي وامتزاج الزعيم بالكتلة الوطنية والحداد . لان الزعيم على التقيض من « الدكتاتور » الذي لا يحتاج التعرف الى هذه الكتلة أو العطف عليها ، اذ انه لا يعير التفاته الى شعورها ، ولأنه من منصب على تلبية ارادته على الشعب بغير اشفاق أو رحمة . وليس الزعيم الحق كذلك لانه يستوى مع الشعب ان لم يكن بحكم النسب فبالعاطفة والاماني . أضرب لذلك مثلاً بصموئيل كوهبرز الذي أصبح من أكبر زعماء العمال في أميركا . كان ذلك الزعيم في الاصل شغوفاً بالموسيقى ، وكان يمكن أن يكون كوكبا لامعاً من كواكب الاوبرا ، ولكنه رأى بعينه الحال العاطلين يتضورون جوعاً بسبب انشاء الآلات ومجم أحد عمال النسيج يهتف صارخاً : « رباه خذ حياتي بيدك ، زوجي وأولادي في حاجة الى الخبز وأنا عاطل من العمل » فألقى الغناء والموسيقى جانباً ، ووقف نفسه على خدمة العمال والعمل بينهم

وهذا غاندى ، أتم دروسه الجامعية ، وكان من كبار رجال القانون ضليعا في مهنته ، ولكننا نراه يزج بنفسه بن أفقر طبقات الهنود وبذلك مهد لذاته السبيل الى الزمامة الحقبة للملايين من شعبه . وما يؤسف له أن المدرسة كثيرا ماتعجز عن بث هذا النوع من الزمامة في نفوس طلبتها وكثيراً ما تجهد الطلبة يساورهم القصور والزهو وغيرهما من الصفات التي تفقدهم شروط الزمامة ، وتعمى أبصارهم عن رؤية حاجات المجتمع ، ومطالب أبناء جلدتهم .

اننا في هذا المعهد نعى كل العناية بهذه الناحية ، ونحاول أن نخلق في نفوس الطلبة روح العطف على الانسانية بفعل الرحلات والزيارات التي يقومون بها الى المستشفيات والملاجئ والقرى اولاحياء المتواضعة في المدينة والسجون والمصانع ، ومن أهم اغراض هذه الزيارات العطف على المواد الاعظم من أبناء الامة ، وهو من اجل صفات الزمامة

ومن الصفات التي لا ريب في وجوب توافرها في الزعيم الذكاء . ولنا نعى هذه الصفة الامام بما في بطون الكتب من المعارف ، انما نعى بها مجموعة الصفات اللازمة لحل المسائل العامة ، وتحليل المواقف وتقدير عواملها . فاذا ما حلت هذه الصفة من زعيم كان مثله مثل جاهل يقوده جاهل مثله . وهذا النوع من الذكاء يتضمن ضرباً من حب الاستطلاع الصحيح

قيل عن المحترق الشهير توماس اديسون انه ولد وعلامة الاستفهام تخرج على شفعية . فقد كان منذ نموه اعظمه يعطر والده وابلا من الاسئلة . وكلما قال والده لا ادري احابه الطفل اديسون . ولم لاندرى ؟ وقد بلغت هذه الصفة فيه انه كان يختلف الى احوض السمك فيندفق من فمه سيل الاسئلة حتى اقترح اولو الامر هناك ان يعين له موظف خاص للاجابة عن اسئلته انفاذا للموقف ، وتوفيرا لآوقات المهندسين والصناع

وكان العالم الطبيعي — اجسى — في حب الاستطلاع تضرب به الامثال ، حتى ان حديثه ومنزله وحجراته الخاصة وجيوبه مكدسة بالعينات التي يراد فحصها . وحدث مرة انه كان يتناول العشاء مع عدد من ضيوفه ، فأثيرت مناقشة حادة حول الفرق بين نوعين من الضفادع ، فما كان منه الا أن مديده الى جيبه وأخرج صندوقاً تميزوا لرأيه ، فأدهم الحاضرين ولانعد حضرات والدى الطلبة وأولياء امورهم اننا نستطيع ان نبث في الناشئين في هذه الجامعة هذه الدرجة من حب الاستطلاع ، انما نعد اننا نمتطيع ان نوقظ فيهم شديد الرغبة والشغف بالعالم حتى تدفعهم هذه الرغبة الى تجاوز الكتب المدرسية ، وتغريهم بحب البحث والتقصي في بطون الاسفار في

المكتبات العامة ، والتخلف بعد ذلك في عالم الحقيقة

والزمامة والطاقة صنوان لا يفتقران . ومن الخطأ المشاع ان الناس يفكرون في القوي الجثمانية كلما ذكروا كلمة طاقة ، في حين ان هذا التعبير لاقية له ، اذا لم يكن منصبا على صفة من صفات العقل . وكانت هذه من ابرز الصفات التي اشتهر بها ابرهام لنكولن ، من رؤساء ولايات اميركا المتحدة . وقد قيل عنه وهو شاب انه توظف مساعدا لمهندس محاجة ، فصار على قدميه عشرين ميلا لدرس ما تتطلبه هذه الوظيفة . ولما ان وجد انه لم يدر شيئا في عمله الجديد بعد هذا الجهد ، لم يثن ذلك من عزمه ، بل واصل ليله بنهاره ستة أسابيع حتى اشفق عليه جيرانه ، وحذروه من نتيجة هذا الاجهاد ، الذي يندر حياته بالخطر . غير ان ذلك لم يردعه بل ظل مجاهدا حتى ملك ناصية عمله . وكذلك عندما عقد النية على الاشتغال بالمحاماة ، فانه أخذ ينتقب في اكادس من الاوراق عن نسخة قديمة الأثر ، مبشرة الاوراق ، فالت تحوى مدكرات قانونية ذات شأن حتى عثر عليها ولم شعنها واسكب على قراءتها واستبناها حتى ألم بما فيها رغم انه كان في ذلك الحين يستعين على تكاليف الحياة من متجر يحتاج الى الكثير من وقته الذهني

على ان السؤال الذي تطلب جوابه — هل في استطاعة المدرسه ان تربي هذه الصفة في نفوس طلبتها ؟ واجابة عن هذا السؤال نعتقد ان هذا من المستطاع ، ان لم يكن في كل الاحوال ففي اكثرها . ولا نعتقد ان ذلك يتأتى بطريق حقو الدهن وكثرة الاستدكار ، وتكديس المعلومات ، ولكنه يأتى بطريق المناقشة ، ونحاشي جو مدرسي تسود فيه البقطة ، ويتوافر فيه النشاط العقلي ، ومصر المتقنة في حاجة الى هذا النوع من الزمامة الذي يتوافر فيه معين لا ينضب من هذه الطاقة ، التي يتطلبها هذا المنهاج من مرافق الاصلاح في شتى النواحي

ومن اسمى صفات الزمامة سمو الخلق وهنا ننقل من الكلام عن الصور الذهبية الى الصور الخلقية . فالزعم يجب أن يكون موصفا لثقة الناس به ، لما جبل عليه من الاستقامة ورسانة الخلق وهذه الصفة تفسر لنا النجاح الذي يصيبه الزعماء المتواضعون في كفاياتهم ، المتوسطون في مواهبهم العقلية . فهو لا لو لم يتغافقوا بكرم الصفات لما كانوا موضع ثقة الناس فيهم ولما وفقوا الى ذلك النجاح

كان هربرت هوفر من رؤساء الولايات المتحدة باميركا مؤخرا في خلال الحرب العظمى . وقبل أن يتقلد الراسة كان مضطعا بإدارة التووين فكانت تسيل بين انامته ملايين الريالات ، حتى انه كان يكتسب التحاويل المالية الى هربرت هوفر وكفى . وقد بلغت هذه التحاويل

زهة مليونين وأربعمائة مليون ريال في الشهر الواحد ومع ذلك فإنه لم يخامر أحدا خلعة من الشك في طهر ذمته . فهل تدهش بعد ذلك إذا فاز بولاية الجمهورية ؟ اليست هذه الصفة المعودة وهذا الاحلاس الصافي وتلك الامانة الثقية هي التي جعلت لغاندى في الهند هذه السلطة التي لاحد لها بين الملايين من شعبه ؟

هاك بين الاسماء التي يتألق مجدها في سماء الاحسان . وعمل الخير في انجلترا — اسم جورج مور — فقد انشأ خمسة ملاحيه كبيره للانتماء بلغ مجموع دخلها عشرين الف نفس . وقد بلغ من شهرة هذه الملاحيه ان تدفقت سيول التبرعات والهبات والوصايا على خزائنها ومع ذلك فقد كانت تضحيته واستقامته واماته أبعد من أن يحس درهما منها . وقد بلغت هذه الاموال مليوناً ونصف مليون من الجنيهات ومع ذلك اقدم مات ووراثه ثروة ضئيلة لا تتجاوز المائة والمبشرين جيبها فهل تدهشون اذا اتهم بين الانجليز بزعم الحسين ؟

ان مصر المستقلة تطمح في أن تكافح الفقر والمرض والجهل بفضل زعمائها الاجتهادين وهؤلاء لابد أن تتوافر فيهم صفة استقامة الخلق . وكثيرا ما يوجه الناس الى معهدنا بعض الانتقادات بدهوى اتنا نفسح في ماضينا مجالا واسما لدرس الاخلاق والاكنار من الانذية والجماعات والرحلات . غير ان لدينا ما يحمل على الاعتقاد بان هذه كلها في مقدمة ما ينبغي أن تعنى به معاهد التعليم اذا شاءت مصر المستقلة ان تبلغ أمانيها القومية

وأخيرا اذكر تلك الصفة العظيمة التي تتطلبها الزعامة ألا وهي سعة الاطلاع واتزان الحكم فمن السهل جدا ان يكون المرء متعصبا بالتعصب ، أى أنه يركز رأيه في نقطة ضيقة محدودة غير أن الزعيم الحق هو ذلكم الرجل الذي يحيط بالمشئة من جميع نواحيها وينظر الى الموقف نظرة فاحصة شاملة في مجموعها . ولو ان موقع مصر الجغرافى في مكان افغانستان أو في منطقة بحيرة شاد في افريقيا بعيدا عن الأمم الأخرى ، لما احتجت الى اتساع الأفق فيما يتعلق باتصالها بالأمم الأخرى . ولكن مصر لايتسنى لها أن تعيش في منأى عن غيرها من الأمم ولايمكن أن يرضى شعبها لها ان تكون كذلك . واذن فلا بد لها من الاتصال بغيرها من الدول وهذه العلاقات الدولية من شأنها ان تزيد الحياة رغدا وغنى ورفاهية اذا حسن وضعها في الموضع اللائق بها . ولا يتاح لها هذا إلا بسعة الاطلاع ومراة التفكير العقلى

## الثورة والادب

ان الاحداث التي طرأت على البلاد بعد الثورة العربية وماكانت عليه الحال الى سنة ١٩١٩ قد جعلت الادب حائرا مضطربا حيرة العقل المصري واضطرابه طول ذلك الحين . بل ان اضطراب العقل المصري لم يهدأ ولم يستقر حتى حفرته الحرب الكبرى الى التطلع نحو المبادئ التي اشتعلت من أجلها ييران هذه الحرب . فلم يكن بغير العلم يحمل لواءه وينتقأ غيبة السلام حتى هبت مصر النائرة تنادي العالم اجمع أن يعترف بحقوقها وسيادتها واستقلالها . وحاضرت البلاد معامرات قاسية زادت العقل المصري تمسكا بمصريته وقوميته وطفئت على البلاد حكومات ديكتاتورية حاولت - وبش ما حاولت - ان تطفىء نور الوطنية من قلوب الناس وان تحكم البلاد بالقهر والصف ، ولكن الحق على غلاب وروح الامة هو الذي على ارادتها في النهاية ، وهو الذي يقرر دستورها واوضاع حياتها دائما .

وليس شك في ان الادب تأثر بهذه البيئة السياسية القاسية بين الاضطراب والاستقرار . بين التردد والغلو ، والتطلع والامل ، والحكم والقهر . والحزبية والقومية . والاثرة والفداء والكتب لروح الامة أحيانا ، والثورة والتمسك أحيانا أخرى . حال مضطربة في جميع نواحيها يجتازها الادب ويتأثر بجميع الوانها من خير وشر وحرية وعف . وكانت غاية الاديب التطلع الى حياة مفردة مملوءة بمعاني الحرية والحلم ، ولقد كان الاستقلال الهوده والحرية املا . وكانت الحياة الاجتماعية تحتاز ظروفا مضطربا عصيبا ، وطن مفقود الكرامة مركزه الدولي غير محدود ولا معروف والاجنبي يحتله ويصرف اموره كديفها شاه وامتيازات احسبه هادمة لجميع معاني الكرامة - والناس احزاب وشيع والصحافة مترددة بين عصا السلطان ومطالب الشعب - حال حيرى . وحكومات تتولى لنزول بعد حين ، وبرلمان تفتح أبوابه في الصباح باسم دستور البلاد فيغلق في المساء باسم القوة والاستبداد . واحزاب مفتعلة لا تمثل رأى الأمة تنكبه على سلطان المحتل وتقوي بروحه وتفتد بنفوذه . هذه الحال لم تكن لتخرج الا نوع مضطربا من الادب ولكنه طريف سلك بالثر طريق الكفاح والجدل والمنافسة والخطابة . ثم وجدت القضايا السياسية الكبرى التي دبرت لزعماء البلاد . فسلك النثر طريقا نحو البلاغة الكلامية في أساليب لبقه باهرة . وقامت خطب في البرلمان هي مثال يحتذى في الادب - ولما نسى ماكان لزعيم البلاد خالد الذكر سعد زغول من اثر فعال في وضع اقيم الادبية للخطابة ما أثر في توجيه الادب نحو القومية المصرية الخالصة

وظهر اديباء عديدون وشعراء من شباب البلاد جعلوا القومية مثارا لهم . ومهبط خيالهم . حتى كادت الاخبة العربية القديمة تزول من العصر المصري الحديث . فاندثرت ذكر الصحراء والناقة والاطلال والربوع - وحل محل هذا كله ما يمتوقف الشاعر المصري من الهام بمجده وجمال النيل وصفاء الطبيعة وفيما تلهم اياه حياة الريف المصري من مناظر وشعور وتفكير وما توجيه اثار مصر القديمة من مجد وفخر . وبدأت القصة المصرية تتكون مصورة البيئة المصرية من حيث الفرض والأسلوب وسياق التفكير

# كتاب الشئمة الجديدة

## التعاون الزراعي

تأليف الدكتور إبراهيم رشاد - جزء الاول - ٣٤٤ صفحة  
والثاني ٣٣٣ صفحة من القلم الكبير ملح بطبعة الاميرية ببولاق

مؤلف هذا الكتاب هو مدير قسم التعاون في وزارة الزراعة . وليس التعاون عنده مجرد معارف ومعلومات عن الحركة . وانما هو عقيدة يؤمن بها ويسعى لها باعتبارها اعظم الوسائل لثرقية الريف المصري . وقد عاش و ارلندا سنوات درس فيها الحركة التعاونية علما ومحملا ورأى فيها الحل للعائل الريفي عندا . والجزء الاول يبحث التعاون بالرواه المتديدة في الامم المختلفة مثل انجلترا وارلندا و ألمانيا . وبه فصولان ممتعان عن الاقراض التعاوني في ألمانيا يجدر بكل من يهتم بانقاذ الفقراء من المرايين ان يدرسهما . كما ان به فصولا عن جمعيات الزبدة و جمعيات البيض والدجاج مما يحس مسائلنا الريفيه اشد محاس

اما الجزء الثاني فيعالج مسائل التعاون وتقدم الحركة التعاونيه في مصر . وبه فصول مسهبه عن «التعليم والتعاون» و«المشاكل الاجتماعيه للحياة الريفيه» الخ .. ونحن راء ٧٠٠ صفحه من الموضوعات المدروسة نعجز عن الاختيار فان كل صفحة جديرة بالدرس والتأمل . ولكننا ننقل هذه الكلمات التالية لكي يعرف منها قراء هذه المجلة ان المؤلف هو من الطرار الذي يحبونه ويقدرونه . فقد قال عن المرأة

«واظن أنه يحسن الا يغيب عن ادهان قادة الشعب ان مصر تجتار الآن مرحلة انتقال وانه ينبغي ان ينظروا وحه الصواب من ان تتيح للمرأة المصرية فرصة لاثبات قيمتها والاهتداء بنفسها الى العمل الذي يجب ان تقوم به في الحياة العامة . ولا فائدة من جحد حقيقة واقعه هي ان الاصلاح في مصر قائم على قاعدة اوربية فظلمنا السياسة وطرقنا التعاميمه وحكومتنا المحليه وسياستنا الدولية بل ومبادئنا العليا لم تمد ذات صبغة شرقية . وقد قال الخديوي اسماعيل هذا القول منذ أعوام خلت وأيدت الحقائق أقواله . لهذا يجب الا نغمض أعيننا أو نصم آذاننا كلما عرضت مسألة المرأة

وسحرها على بساط البحث ، بأنه لا بد يوما ما أن نواجه هذه المشكلة فلماذا لا نواجهها من الآن ونجتهد في حلها من تلقاء أنفسنا بمقل واسع وصدر رحب ؟ اليس خيرا أن ندرس هذه المسألة من الآن ونرسم الخطة القومية التي تحرر نساءنا تدريجيا ، وتعلمهن وترفع مستواههن وتعدهن للعمل الذي ينبغي أن يقمن به مع الرجال في تشييد مصر الكبرى ؟

«إن النساء في أوروبا لسن يعملن عن أعمال الرجال وامنتهن العليا وامانيهم . وكلا الفريقين هناك رفيق للآخر يعمل معه في وفاق وبشاطرء عبء البيت والوطن . كلاهما مستعد بطبيعته للقيام بواجبات معينة في حياته الخاصة والعامة ولكل وجهة في النظر العسكري ، ولكل موهبة عماها عمله ، فإذا لم ينتفع بهذا كله في تشييد مصر الكبرى فستضيع امتنا بين هذا وذاك . ولنحول وجهنا لشرق الغرب وننظر الى العمل الذي تقوم به النساء هناك وخاصة في إنجلترا وأمريكا ، فانه اذا اقصيت النسوة المتعاملات المنقذات عن ميدان الاصلاح الاجتماعي شلت حركة العمل فيه . ولا مشاحة في ان عملهن في الهيئات العامة والمجالس المحلية والامطة الاقتصادية والأعمال الاجتماعية ذخر عظيم لبلادهن»

### الاجرام السياسي

تأليف لوى رومان وترجمه الاساذ حسن الحدادي

صفحة ٣٢٧ من القطع المتوسط طبع بمطبعة حجازي بصر

هذا الكتاب يتناول موضوعا يجب ان نهتم له في طورنا السياسي الحاضر والمستقبل فانه يعالج الفساد السياسي والألوان التي يتخذها . وقد بدأ بفصل عن المكيافيلية . ثم القتل السياسي . ثم قتل الطفلة . ثم التوضوية . وهذه كلها فصول ليست فقط مبنية بل هي أيضا تقرأ في لذة القصص وفي الكتاب اربعة فصول على فساد السياسة في إنجلترا وفرنسا وايطاليا وروما وفعل على علاقة السياسة بالأخلاق العامة . ولا يمكن غير مؤلف فرنسي ان يؤلف مثل هذا الكتاب فان تاريخ بلاده حافل بالوان الغلو في الجمود والغلو في الثورة كما هو حافل بالانقلابات والدعمايات . ولكن المؤلف لم يقتصر على ضرب الامثلة من التاريخ الفرنسي . ومن اجمن مقالته المؤلف هذه الكلمات البارة في خاتمة الكتاب :

«ومن مصلحة الأمم ان لا تفرق بين السياسة والأخلاق في علاقاتها المتبادلة . ان السياسة السليمة كالأخلاق الطيبة تطلب العدل وحمى المعاملة وهما قوام السلام وما يتبعه من خير اما السياسة التي تعلم الأمم الحسد ، والبغضاء ، والمبغبات ، والاسترشاد بمصلحتها القاذية في تصرفاتها ، وحسم



الحلقات التي تنشأ بالقوة وحدها ، لحي سياسة مجرمة وخاطئة . والماسة الذين يغيرون بهذه السياسة النفعية الضيقة ، سياسة الحمد والشر هذه ، قصار النظر يرون مصلحة الساعة ، ويغضون عيونهم عن المصالح المشتركة بين الشعوب ، وبالأخص عن النتائج الغائرة للعداوة والحروب ، ويسنون فوائد الملم وفظائع الحرب »  
ولغة المترجم واضحة مفهومة . وهي ليست فقط خالية من التقرير والاغراب بل هو يبذل مجهودا موفقا لتقريب المعنى الى القاريء

### دأثره معارف المنزل الحديث

تأليف الالة بسمة زكي ابراهيم - مجلدان - الاول ٣٠٣  
صناعات والثاني ٣١٨ صفحة من القطع المتوسط مزين بالصور  
قامت مشروعة ككتبة النبعة

يعرف القراء مؤلفة هذا الكتاب بمؤلفاتها السابقة في « المكتبة المنزلية » فان لها كتابا من المطبخ الحديث . وآخر عن المطائر الحديثة وثالث عن صناعة المربيات اورابع عن المطبخ الشرقى . وهذان الكتابان الاخيران يحتويان كل مايمهم المييدات من ناحيتى ترتيب البيت وتربية الطفل مع الصور المعديدة لمهندسة البيت وأثاثه وحياة الطفل . وهذا هو المجلد الاول . اما الثانى فيحتوى كثيرا من الارشادات الخاصة بعناية الفتاة بصحتها وجمالها من ناحيتى الوقاية والعلاج . وبه فصل مسهب عن الرياضة البدنية للفتاة

والمطبخ اتيق والصور واضحة والشروح وافيه . ولا بد ان هذين المجلدين سيلقيان الزواج الذي لقيه المجلدات السابقة . فان المؤلفة اختصت بدرس المنزل وربة البيت . وهى تكتب لكى تعلم وتقيد والسيدة او الامة التى تعنى بجمالها او بجمال بيتها تتنفع كثيرا بقراءة هذين المجلدين اللذين يرشدانها الى الذوق الحديث

### بين العقل والجنون

تأليف الدكتور محمد حسنى ولاية صفحاته ١٤٩٦

من القطع الكبير . طبع ب مطبعة النعاوت بالاسكندرية

هذا الكتاب هو مجموعة فصول خفيفة محلية عن المجانين ومن يقاربونهم من العقلاء . والمؤلف محدث أكثر منه شارح . ولذلك يقرأ الكتاب فى لذة لوفرة الامثلة عن اخلاق المجانين وسلوكهم . واليك احدى القصص عن واحد من هؤلاء تحت عنوان

## يروج أعمال البوليس

دعاني احد اقسام البوليس للكشف على مجذوب فليت . واذا ببعضه اشخاص من صفارات التجار مصطفين امام ضابط القمم يجادلون رجلا طويل القامة قوى البنية وهو بطل هذه القصة قال لي الضابط — لقد ارقنا هذا الرجل في كتابة محاضر لهؤلاء الاشخاص طول هذا الصباح وهو يأتينا بين الفينة والفينة بتاجر متها اياه زورا بتهم شديدة الخطورة كالاتجار بالمخدرات والتعامل بالربا الفاحش وهلم حرا ولم يبد هؤلاء الاشخاص مقاومة في المجيء معه اتقاء لشبهه ، والغريب أنه اتقن سبك التهم بمهارة فائقة ولولا تعدد المتهمين وتنوع التهم لما تطرق الشك الى نفسه في سلامة قواه العقلية

وعندئذ سألت الرجل عن سبب اتهامه لهؤلاء الابرياء بتهم مغلطة ؟ فقال لي أنه يروج أعمال البوليس ويحمل النشاط محل الكسل  
فقلت له اذن أنت تسحق عمولة على ذلك  
فقال نعم

فهمست في اذن الضابط قائلا — ان احسن عمولة له ان يزل على الركب والسعة في زنازة  
المجاهدين بالمستشفى الاميري

## اتجاهات العصر الجديد في مصر

تأليف محمود المنجوري ١٧٤ صفحة من القطع الصغير مطبعة الشمس - بمصر

هذا الكتاب الصغير يدل على العقلية الحديثة التي تسود كثير اربعض شبابنا بعد المعاهدة . وهي الاهتمام بشئون مصر كنتيجة للشعور بالمسئولية في الاصلاح وبعث الشايط والرغبة في الرقي . وقد طالع المؤلف جملة موضوعات من نواحي الانحاء الاجتماعية والاخلاقية والمرأة والطفل والنشريع الى الامتيازات والانتجاهات الاقتصادية والفنية . وما احسن قول المؤلف

«ومادامت حالتنا السياسية قد استقرت بعد المعاهدة والمعاهدة المصرية الانجليزية أظهرت حدث في تاريخ مصر بعد الاحتلال الانجليزي — لهذا يجب أن نجعلها حدا فاصلا بين ماضى مملوء بالجهاد والأمل ، ومستقبل زاخر بالجهد والعمل — فاذا كان الأديب في الماضي يفهم الحرية على أنها انشودة عذبة وأمل غال تراق من أجله الهدم ، فمستقبله ما يشاء خيال المحصب من شعر عذب وكلام

بلطخ ، فيجب أن يفهم الأديب الآن أن الحرية ليست إلا المسؤولية الوطنية التي يجب أن يؤديها بالجهد والعمل . وأن واجب الأديب ليس في سلوك هذه الأساليب العذبة الرقيقة بل واجبه الآن أن يسلك طريق المجد فيستقشد أدب القوة طامعا ليثبت في مواطنيه روح العمل والعمور بالمسؤولية الكبرى التي نشأت عن عهد الحرية والاستقلال .

« أدب القوة وفلسفة القوة هما مظهر حياتنا الأدبية الجديدة . — ذلك لأن المستقبل مملوء بالأحداث الجسام الملقاة على عاتق شباب هذا الوطن ، وقد تحولت روح الأمة بعد استقرار حالتها السياسية إلى روح متطلعة نحو المجد . ساهرة على أداء واجبها لصيانة استقلال عزيز عليها . ومادام الأدب ضرورة حية من شعور الأمة وحياة الأديب ، فيجب أن يتجه الأدب إلى هذا النحو الجديد ، ويجب علينا أن نلنى المبادئ القديمة التي دعونا إليها من قبل ، والتي أخذ الغرب يروجها بين الأمم الضعيفة ، إذ كان يدعو إلى السلام العام في حين نراه يعمل على زيادة التسلح وتقوية جيوشه وأساطيله ، حتى نشأت نظرية متناقضة أفرتها الدول ، وهي نظرية السلام المملع

« إن مصر تجتاز الآن مرحلة انتقل وعصور الانتماء من أكثر العصور خطورة في تاريخ الأمم ولأنها تحتاج إلى دقة لتركيز الحبة واختيار النظم والمبادئ الملائمة لمطالب الحياة الجديدة « والحياة الجديدة تتطلب من مصر مسؤولية لصيانة استقلالها من كل معتد أو مفير ، كما تتطلب منها أن تسام في المجتمع البشري مساهمة عملية بحمل تبعاتها ونصيبها في ترقية المدنية عامة « والحياة الجديدة تحتاج إلى الأدب القوي ، تحتاج إلى الأديب الذي يحافظ الحياة من غرائزها ، إلى الأديب الذي يهيء بلاده للمستقبل المحضوف بالمخاطر فينتج أدبا ذا شخصية يعترف المستقبل في تكوينه تحفزه وتطلعه وأماله »

## الحكيم وليلى

قصة تأليف نوري حسن النوروني صفحاتها ١٠٩ من القطع الكبير طبعت بطبعة صادقة في بيروت

نزع المؤلف في هذه القصة نزعة اجتماعية تحليلية وتبهم حياة سيدة تقع في شباك المواطن المتضادة ثم تنتهي بالجنون . وقد عبر عن ظمته في هذه المقدمة التالية بقوله :  
ان الهدف الذي يتوخاه الأديب في منشورهم ومنظومهم هو فائدة المجتمع الانساني وزيادة رقيه ومعارفه .

فالكاتب الادبية التي يقرأها الناس ولا تقيدهم هي بنظري ليست من الادب بشيء لانها لا تمثل غاية الادب

فكل من يكتب عن اخلاص وعقيدة ودرس واختبار وبنيد التصنع والتقليد. والتعصب للادباء والاطعان والهاملات الباطلة هو ولا شك يترك للأجيال المقبلة اثرا خالها مفيدا

ان الصدق في القول والعمل وفي الاخذ والعطاء ليس فقط هو اساس المعاملات المادية بين الناس بل هو ايضا جوهر الادب الصافي في هذا السكون

فالادباء الصادقون في أدبهم المخلصون في سرد افكارهم وحقيقة شعورهم ووجدانهم الخالدون لان مرور الاجيال يقضي على الابطال والثرثرا ولا يبقى الا على الحقائق

القديس مرقس الانجيلي

تأليف: جيب جرجس وكامل جرجس صفحته ٧٢

من القطع الكبير طبع بمطبعة الشمس بدمر

مرقس الانجيلي هو مؤسس الكنيسة المصرية . وقد وضع هذا الكتاب في ترجمته . وقد جمع المؤلفات هذه الترجمة من شواهد مشتتة في محلات مختلفة . وهما يسمان بالمعجزات التي تعزوها التقاليد المسيحية الى مرقس الرسول كما انها يسمان بنقل رقايق من الاسكندرية الى البندقيّة . وقد وضعها هذه الترجمة لتلاميذ مدارس الاحد القبطية

## وجهة التربية والتعليم في العالم العربي

للدكتور محمد فاضل الجنالي المفتش بوزارة المعارف العراقية

هي الرسالة الثانية لرسائل التي يصدرها «نادي المثني بن حارثة» في بغداد آتي المؤلف في رسالته على تاريخ موحز لا انتقال الثقافة من الشرق الى الغرب . ثم تدرج من ذلك الى المناداة بتوحيد الثقافة والتربية في العالم العربي لما يربط ممالكه من روابط مختلفة

ثم قسم المؤلف مسائل الثقافة الى : اتجاه غربي ، واخر يفسح على المنوال القديم . وثالث يوحّد بين الطريقتين . فينقد ويخلص . ويستخلص خير الوسائل وآمنها . وهذا ما ارتضاه الدكتور المؤلف ليكون وجهة للناس

ثم عالج المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية واللغوية . والصحية . والثقافية في جميع البلاد العربية في ابحاث مختصرة جامعة . وانجبه بكل ذلك الى غرضه الاساسي وهو «الوحدة العربية» ثم ختم المؤلف رسالته ببحث عن التعليم في المراق من نواح متعددة . والكتاب فكرة فياضة بحث حذر بالعناية يجب ان تكون نواة لبحث الوحدة العربية التي ينادي بها كثير من المثقفين

# فِي الْحَيَاةِ وَالْعَمَلِ

بقلم سلامة موسى

---

قوميتنا الفرعونية

رجولة الامة في خطر

السموم في طماننا

المتعلمون الفاطلون

آلات الحرب

متى نكف عن الابهة الشرقية

الفرض من تحديد النسل

مصر في عصبة الامم

## قوميتنا الفرعونية

لا يمكن أمة بلا تاريخ ان تكون لها وطنية . لان الوطنية تحتاج الى ذكريات تثير في القطن الاحترام للاباء والشعور بصلة الرحم بين ابناء الوطن والفخر بما كثر ساقفة وتوحد الجهود الماضية مع توحد الغاية الحاضرة . وكل هذا غير ممكن بلا تاريخ . ولهذا السبب كان للتاريخ على الدوام حرمة يشبه القداسة وتقارب الدين . بل لقد وقف الانسان حائرا في الفصل بين تاريخ اليهود وبين ديانتهم أيها التاريخ وأيها الديانة ؟ فان التوراة يمكن أن تقرأها كتاريخ كما يمكن أن تقرأها كديانة ؛ ومن هنا هذا التقديس الذي نراه في ألمانيا للتاريخ الألماني . فان الغلو في الوطنية ينتهي بالنحس للتاريخ كما ان فتور الوطنية ينشأ من ضعف الحاسة التاريخية

ومصر لن تهذب عن ذلك . فان تاريخها يجب أن يكون قوام ولبيتها . ولكن مصر تختلف . من سائر الاقطار بأنها أقدم أمة مستمرة على وجه الأرض وان تاريخها يمتد الى ستة آلاف سنة . كانت في أربعة آلاف سنة منها أمة مستقلة هي تاريخ القراعسة . ثم كانت في ألف سنة منها أمة يستعمرها الرومان واليونان . كما كانت بعد ذلك عربية ثم تركية . ولكنها لا تزال الى الآن فرعونية الدم لا يختلف فلاحوها مما كانوا قبل ستة آلاف سنة .

وهناك بيننا من يدعو الى العروبة اعتقاداً بأننا عرب . ولكن الحقيقة اننا ما زلنا مصريين فرعونيين في دماءنا واننا نبعد بعدا كبيرا عن الملاقة السامية . ووجه الفلاح الحاضر هو وجه تحتمس . ورمسيس وسن و خوفو وخفرع لم يتغير ولم يتأثر بالدم الاجنبي الذي عرف فقط في المدن وجف فيها

فاذا اردنا ان نجعل من التاريخ اساسا لقومية أو الوطنية المصرية فاننا يجب ان نعود الى هذه الاربعة آلاف من السنين لكي نعين للامة شخصيتها التاريخية . بل نحن مضطرون الى ذلك لأن الامم الاجنبية لا تعرفنا الا بتاريخنا الفرعوني الذي تملأ أكتافه متاحفهم والذي تؤلف عنه عشرات بل مئات الكتب . وات حينا نزلت في احدى العواصم الاوربية وجدت اثار اباثنا في قاعات فخمة في اعظم المتاحف . كما نجد مئات الكتب التي تشرح الحضارة الفرعونية ولا تكاد تجد مع ذلك كتابا واحدا من مصر أيام الرومان أو أيام العرب أو أيام الاتراك . ولنا بهذا الكلام نتقص شأن هؤلاء في تاريخ بلادنا . بل نريد ان نقول ان القراعنة يغمرون تاريخنا ومنهم تتكون شخصيتنا

القومية وعليهم نستطيع ان نؤسس وطنيتنا

واذن يجب علينا أن ندرس تاريخ الفراعنة المدرس الوافي وأن تزيد عناية الحكومة بهذا المدرس فاذا كانت الحكومة ستنتفي ملايين الجنيهات لايحاد القوات الحربية فانها يجب ان تنفق مئات الالوف على الأقل لكي تعمم الثقافة الفرعونية وذلك بنشر مكتب صغيرة وكبيرة يأس لها التلميد في المدرسة والصبي في البيت والحداد المتعلم والرجل المنقذ . لان هذه الثقافة تعني عواطفنا لخدمة الوطن وتجنبد قلوبنا للدفاع عن مصر بما لا تقل فائدته عن قوة المدافع والطائرات . كما يجب ايضا أن توضع التعديلات العظمى في مبادئنا حتى نغلا صدورنا بالقصر وتنشأ الاجنبى عن شخصيتنا القومية التي لا يقل عمرها عن ستة الاف سنة . بل يجب ان يأخذ الطراز المصرى حقه في المباني العامة على لاقل ان لم يكن في المباني الخاصة . ثم هذه اللغة الفرعونية يجب أن نعرف منها شيئا نتعلمه لكي نتذوق تلك الالفاظ التي كانت في يوم ما الالفاظ الوحيدة للامة المتعدنة الوحيدة في العالم كله ان العالم كله يحترمنا اذا عرف حقيقتنا وهو اسما زلنا أمة الفراعنة لم تتغير . ولكنه يحترمنا اذا وصفنا انفسنا بوصف اخر . وهو مع ذلك وصف لا يطابق الحقيقة

## رجولة لازمة في خطر

يقول أحد الأطباء في احدى جرائدنا أن التدنن أو ما يعرف عامة باسم السل يفتشى هذه الأيام تفشياً ذريعاً بين السكان وأنه اذا لم تقم الحكومة بمجهود كبير لعسده فانه يفتشى من أن يطنى يوماً ما على عدد كبير وعسده يفتشى العلاج أو على الأقل يصعب .

ولم يكن التدنن من الامراض المعروفة في مصر قبل نحو ثلاثين أو أربعين سنة . وذلك لأن هذا المرض مدنى يلسأ وينمو في المدن حيث الوخامة في الهواء المحبوس والرطوبة والظلام وقلة الأطعمة المخدبة والرياضة المنبهة . ولم تكن القاهرة قبل أربعين سنة مدينة كبرى وانما كانت قرية كبيرة خالية من المصانع يمشى سكانها كما يمشى سكان القرى على مبادئ الاستقلال القروى في الانتاج والاستهلاك . فكانت الاجسام حية سليمة بالطعام المادج الطبيعى على الرغم من قلة الأجور . ولكنها استحال بعد ذلك إلى مدينة يأكل سكانها أسوأ الأطعمة المنفوشة ويقطنون

المساكن المظلمة الوخمة ويميلون في المصانع طول النهار . وإذا لم يشبع الجسم من الغذاء السليم في هذه البيئة فانه سرعان ما يبل . وهذا هو القى حدث في كثير من السكان

وهذا المرض قليل في الريف . لأن الهواء الطلق والشمس العاصية حتى مع المسكن الوخم ومع طعام الذرة والبصل يعدان الجسم للمقاومة . ولكن هريف مع ذلك أمراضه التي جلبها علينا جعلنا الأعمى . فانا لكي نزيد أرباحنا من زراعة القطن أخذنا نصرف في الري حتى تشبعت الارض كالاسفنج بالمياه فامتلات بالديدان التي تنتقل الى أجسام الفلاحين فتسببهم . ولنا سبب كثير التفسير القى علل به رسل باشا تقضى المحدرات بين الفلاحين . فانه يقول ان هذه الديدان قد أضعت أجسامهم فجاءوا الى بعض المحدرات لتقوية الشهوة الجنسية . وقد تشبعت الحكومة أخيراً الى فداحة هذه الأمراض واكثر من المستشفيات لملاجها . ولكن العلاج الحامض هو تخفيف الارض وأعادتها الى ما كانت عليه قبل أن نصرف في الري . وهذا التخفيف لا يخدم صحة الفلاح وحده بل يعيد الى الارض حيويتها

ورجولة الأمة كلها في خطر من هذه الأمراض سواء في المدينة أم الريف . فان قوة النفس ومثانة الاخلاق والقدرة على المناورة ودوام البقطة بل الفكاك نفسه يتوقف على صحة الجسم . وحتى من أجل الجسم في الكسب هذا الجشع الذي أدى بنا الى اتلاف صحة فلاحينا يجب أن نعود فنحن بصحة الفلاحين خاصة والمهمل عامة حتى تعود اليهم قوتهم فيزداد الانتاج ويزداد الراغبون في الربح ربما . فان الشركات الكبرى التي تقوم بالمقاولات العظيمة للحكومة تطرد عمالها من مهاجري الوجه البحري لان الديدان أنهكت أجسامهم وتمتدح عمالا من تلك الانحاء التي لم تعرف الري المستديم في الوجه القبلي حيث لا تعيش الديدان . ومن هذا يتضح أن للصحة نمسا الاقتصادية الذي يحسب بالقرش والمليم . فاذا كانت قلوبنا قد خلت من البر بأبناء وطننا حتى لا نبالي بصحتهم فلنظن الى هذه العواقب الاقتصادية التي تؤذي جيوبنا من تقضى الأمراض بين العمال

ثم يجب على أولئك النيورين على كثرة السكان أن يفكروا في هذه الأمراض . فان الوطن الصادق يجب ألا يطلب كما بل كيفاً . والأمة التي يمد سكانها بمئات الملايين لا تحسب شيئاً إذا كانت منهوكة القوي مضعضة الرجولة بجانب الأمة الصغيرة التي تعنى قبل كل شيء بسلامة الاجسام والعقول في أبنائها . وعلى كل حال يجب قبل أن ندعو الى زيادة الجبل القادم أن ندعو الى معالجة المرضى من الجبل الحاضر وإلا نبخل بالمال والمجهود لتحقيق هذه الغاية . وخير لنا أن نكون مثل سويسرا او هولندا أمة صغيرة راقية سليمة من ان نكون مثل الهند تبلغ ٣٦٠ مليون آدمي



يعيش أكثر من نصفهم عيش الحيوان بل أقل

وليس حكومتنا فقيرة وخاصة إذا هي قدمت الى بعض مؤسساتها ومصالحها التي لم تنشأ للفائدة المحضة بل لأغراض أخرى فالتها . مثل هذا الجمع اللغوي الذي نَزَف الى الآن من خزانة الدولة أكثر من خمسين ألف جنيه ما كان احوجنا اليها في مكافحة التدخين أو البلهارسيا أو الانكلستوما أو الملاريا . ومثل هذه المتوضيات التي يمكن أن تقنع بربعها في العدد ثم يربع هذا الربع في النصفات . بل مثل بعض هذه المصالح التي يكفيننا منها مكتب صغير يحوى موظفاً واحداً أو موظفين اثنين أن صحة الأمة أهم وأخطر من الجمع اللغوي ومن مقوضية في واشنطن أو كابل أو طهران وما تنفقه على معالجه الامراض وتوقيتها نشترى به صحة في الجسم وذكاء في العقل ومتانة في الاخلاق

## السموم في طعامنا

إذا نجحت وزارة الصحة في مكافحة السموم المتفشية في أطعمتنا فانها تقوم بأجل حمل وأشرف خدمة يمكن وزارة مصرية أن تقوم بها للوطن . ويبدو من نشاط الوزارة أنها ماضية في مكافحة السموم . فانها قبل نحو شهرين أعلنت حكومة استراليا وزيلندا الجديدة انها لن تأذن بدخول الزبدة الأجنبية التي تضاف اليها أية مادة معقمة . وقبل أيام أيضاً أعلنت انها لن تأذن بدخول الجبن الاجنبي الذي تضاف اليه مثل هذه المادة

وكلمة « مادة معقمة » يجب أن تترجم باللفظة التي يفهمها الجمهور لأنها تعنى سما وهو سم بكل معاني هذه اللفظة أى انه اذا أكل منه الانسان مقدارا كافيا مات منه . واذا أكل مقدارا قليلا حدثت له امراض مختلفة تضعفه اذا كان شابا أو كهلا وتؤخر نموه اذا كان صغيرا

وهذه السموم تخلط بالزبدة والجبن واللحم والمربيات والسردين لمنع التعفن . فان الاحياء التي تحدث التعفن تتأثر بالسم وتموت كما يتأثر الحيوان أو الانسان . بل هي تتأثر أكثر . ولذلك فان ما يقتلها لا يكاد يؤثر فينا سوى الأثر الدفين المستتر الذي لا يحس به . ولكن لو كنا مثلنا كل السردين كل يوم مدة شهرين لاتضح الامر ، وقد يؤدي الى الموت . وهكذا الشأن في جميع الاطعمة المسمومة أى المعقمة . ويصعب جداً أن تقدر الأضرار والأخطار التي تتعرض لها صحة الأمة من هذه الاطعمة مهما كانت قليلة . فقد يكون متناولها قليلا صغيرا تقسم أعضاؤه ويتسمم دمه من قطعة صغيرة من الزبدة أو الجبن أو اللحم المعقم . وقد يكون رجلا مريضا من الأصل

فيتتقاهم مرضه من مريان السم في دمه

ونحن نرجو ألا يقتصر نشاط وزارة الصحة على مطاردة الأطعمة الأجنبية . فانا نحب أن نكون وطنيين وأن تقول بإيثار الأطعمة المصرية على الأجنبية وهذا بالتعمل هو مايجب ليس خدمة للوطنية بل للصحة أيضا . فان الأطعمة الوطنية تمتاز بأنها طازجة ساذجة ولكي اذا كان هذا هو الأغلب فانه لبس العام . فان صائغى الجبن في مصر قد تعلموا الحيل الاجرامية لمنع التفتن وقتل الديدان في الجبن بإضافة السموم أيضا . ولما زار مفتش الصحة مصانع دمياط حكمت تقريرا يقول فيه أنه لم يجد مصنعا لا يضيف المواد المعقمة أى السامة الى الجبن

وهنا خطر يجب أن تنتبه له وزارة الصحة ويجب أن تطالب من البرلمان سن قانون جديد ينص على غرامة فادحة نحو الف جنيه أو أكثر على كل من يضيف سما الى الجبن أو الزبدة . ومثل هذا القانون يحتملنا على شراء الجبن والزبدة المصريين لاننا نضمن ان خلوها من المواد المعقمة أى السامة . وهناك من يعتقد أن كثرة وفيات الاطفال في مصر تعود الى خلط الجبن بهذه السموم التي تضاف أيضا الى الزبدة والقعدة

وهناك سموم أخرى يذهب ضحيتها الاطفال دون البالغين هي هذه الحلوى المصبوغة بالاحمر والاصفر والاخضر وغيرها من الالوان التي تجذب نظر الاطفال . فان كل هذه الاصباغ مسموم لاغش فيها . ويمكن الكيماوي أو الصيدلى النسيب أن يأخذ برطمانا من أحد الدكاكين يحتوي أصناف الباستيلىا ويستخرج منها هذه الاصباغ ويقدم منها ساقويا لقتل أى انسان . بل هذه الحلوى نفسها قد لا تكون محلاة بالسكر واعا بالمكرين وهو أيضا مادة سامة

ان على رأس وزارة الصحة صاحب المقام الرفيع وفي كالتها البرلمانية رجل من أنشط رجالنا وأذكاهم هو الدكتور حامد محمود ولذلك يجب أن نطمح في اصلاحات كثيرة على يديهما وفي مقدمة هذه الاصلاحات تأمين الطعام الذى نأكله وخاصة مايا كلة أطفالنا . فان من الشرور الفاضحة أن يطلب الانسان الصحة لأهله وأولاده فيرى انه يشتري لهم السم من حيث لا يدري ويقتلهم بيديه وهو يريد لهم العافية والبقاء . وكل هذا لكي يربح تجار اجانب لاضمير لهم أو تجار مصريون لاضمير ولا وطنية لهم

ولم نذكر اللبن لأن مصلته أكبر جدا من سائر الأطعمة فان باعتة لا يصفون اليه محاولتهم يسمدونه بالماء كل يوم ولا يبالون حتى هذا الماء نظيف هو أم قدر . وعندنا أن قتلى اللبن المغشوش أكبر عدداً من قتلى الخمر والتهدرات والاثومبيلات . والحكومة التي تمنع القتل يجب أن تبدأ بمنع القتل من اللبن المغشوش

## المتعلمون العاطلون

تسمى وزارة المالية بكل مالهيا من قوة لتوظيف الشبان المتعلمين إما في مكاتب الحكومة وإما في الأعمال الحرة . وكان آخر ما قامت به هذا الأسبوع أنها أرسلت الي وزارة الأشغال تطلب منها بيانا عن أسماء البيوت التجارية والشركات المختلفة التي تعاقدت معها في مقاولات بشأن المشروعات التي نصت المعاهدة على القيام بها . وهي أى وزارة المالية تنوى مخاطبة الهيئات وتنبيهها الى استخدام الشبان المتعلمين

وهذا سعى حسن ولكنه في اعتقادنا قليل الجدوى . فان هذه الشركات لن تحتاج إلا الى عدد صغير من الشبان المتعلمين . وعلى ذلك سبق بينا هذا الجيش الذي أخرجته مدارسنا وسلخته وزارة المعارف شهادات الانتهاء من التحصيل وهو عاطل عن العمل وأصل العقدة والسبب لهذا العطل أن هؤلاء الشبان تعلموا في الأكثر دروسا ثقافية لا تهيئهم لأن يحترفوا حرفة ما تقل لهم ربحاً ، أو هم قد اردحوا على ثلاث أو أربع حرف مثل المحاماة والطب والتجارة . وهذا الأزدحام قد منهم من اكتسب منها

ونحن لم نقرأ بيانا عن الشهادات التي يحملها العاطلون عندنا . ولكننا نؤكد أن ٨٠ في المائة لا تخرج عن البكالوريا بقسميها . وهذه شهادة ثقافية لا تؤهل أحدا لعمل ما . أما العشرون الباقية فنما على الأقل ١٥ في المائة لا تخرج عن شهادات جامعية في الحقوق والآداب والتجارة . وشهادة الحقوق لا تعنى في العمل الحر سوى المحاماة . وهذه حرفة مزدحمة . وشهادة الآداب لا تعنى من حيث الحرفة سوى التعليم وهي أيضا مزدحمة وكان يمكن التوسعة على حاملها لو أن تعليم اللغة العربية في المدارس الابتدائية والثانوية قهر عليهم إدام أكفا من يستطيع ذلك . أما شهادة التجارة فلا تؤهل أحداً لأن يكون تاجراً وهي شهادة ثقافية أكثر منها حرفية

ومن عجب ان يكون لدينا عاطلون في الوقت الذي تستوعب فيه بلادنا ربع مليون أجنبي ليس بينهم عاطل بل أن كثيرا من نساء هؤلاء الأجانب وأوانسهم عاملات وربما يكون في هذه الظاهرة ما يدلنا على أن العمل والعطل لا يتوقفتان على التعليم المدرسي وحده بل على الأخلاق أيضا . فان كثيرا من هؤلاء الأجانب لم يحصلوا على تعليم يعادل ما حصل عليه شباننا ومع ذلك هم أقدر على الحصول على العمل واثبت فيه اذا ما حصلوا عليه

فهل يجب أن نلتصق ببعض أسباب العطل في أخلاقنا هذه الاخلاق التي اكتسبناها من الأم المحببة الممكنة التي لم تعلمنا الجراءة وهذا البيت الذي لم يكن يعرف النظام وهذه العقائد التي نشأنا عليها في احتقار جمال هي أشرف الاعمال في الدنيا ؟ ان ما لاشك فيه أن الشاب الاجنبي أرشق قواما من الشاب المصري وهو لا يمكنه أن يقرأ في الانجليزية أو الفرنسية كتابا في الفلسفة ولكنه يرطن بها بطلافة لا يستطيعها الشاب المصري . وهو يقدم على فتح دكان لبيم الشربات أو الجوارب أو الاواني الصينية أو اقمصة ولكن الشاب المصري يخجل في أحيان كثيرة من ذلك وإذا استمر هذا الضعف الاخلاقي بيننا فانه يمكن الاجانب أن يزدوا عددهم الى نصف مليون وأن يمجّدوا العمل بيننا في حين يبقى شباننا عاطلين

ولكن بعد هذا يجب أن نقول أن وزارة المعارف لم تساعد الشباب المصريين على التهيؤ للعمل . وانما هي في الحقيقة ساعدتهم على أن يكونوا عاطلين . فان التعليم في جميع أقطار العالم ينقسم قسمين أحدهما التعليم التقني الذي ينتهي بالجامعات . والآخر التعليم الحرفي وهو في العادة لا يرتفع مستواه كثيرا لأن الغاية منه تخريج **الشباب لكي** يعملوا ويكسبوا فيجب أن يخرجوا قبل سن العشرين وخاصة لاجم من أبناء الطبقات الفقيرة . وفي هذه الدنيا أكثر من أربعة آلاف صناعة يحتاج اليها المتعدون كثيرا أو قليلا وبعض هذه الصناعات لا يحتاج من الوقت للتعليم أكثر من بضعة أشهر وبعضها يحتاج الى نفع سنوات . وكان يمكن الوزارة بطريق المبالغة المحلّة أن تؤسس مئات من هذه المدارس الليلية والنهارية . ولكنها لا تفعل بل نحن نكشئ ان هي فعلت أن تستحيل هذه المدارس الى مشروعات ضخمة تحوى ألوانا من الابهة الشرقية ليس في البناء فقط بل في مرتبات المعلمين والمفتشين . مع أن كل ما نطلبه أن يتعلم شباننا كيف يرطنون بمائتي كلمة فرنسية تساعد على أن يتحدثوا مع الزبون في متجر الملابس أو كيف يذهبون الخشب أو كيف يصنعون البسطة أو كيف يديرون مطعما رخيصا لا يزيد رأس ماله على مائة جنيه أو نحو ذلك من الاعمال التي يستطيع حامل البكالوريا أو حتى الكفاءة أن يقوم بها اذا لم تقف أمامه هذه العقبة الاخلاقية التي ورثها من البيئة الاجتماعية الحاضرة وهي التي تجعله يخجل من ممارسة هذه الاعمال الشريفة

## آلات الحرب

نشرت جريدة نيويورك تيمس احصاء عن القوات الحربية عند الدول فنقله فيما يلي

الدولة	الجيش البرية	الطائرات	البوارج بالطن
بريطانيا	٢٠٠٤٠٠٠	١٤٦٠٠	١٤١٩٢٤٠٠٠
فرنسا	٧٠٨٤٠٠٠	٣٩٠٠٠	٥٥٦٤٠٠٠
روسيا	١٤٣٥٠٤٠٠٠	٤٤٠٠٠	٢٠٠٤٠٠٠
تشيكوسلوفاكيا	١٦٤٤٠٠٠	٦٠٠	
رومانيا	٢٢٠٤٠٠٠	٧٠٠	
يوغوسلافيا	١٣٢٤٠٠٠	٦٠٠	
بولونيا	٣٣٢٠٠٠	٥٠٠	
بلجيكا	٩١٤٠٠٠	٤٥٠٠	
ألمانيا	٦٥٠٤٠٠٠	١٤٣٠٠	١٣٢٤٠٠٠
إيطاليا	١٤٠٠٤٠٠٠	١٤٥٠٠	٤١٢٤٠٠٠

وهذه الأرقام قد تدل على الكم فقط : ولكنها لا تدل على الصكيف . فان الجيوش البرية الآن لا تكاد تعرف المشى على الأقدام أو حتى ركوب الخيل لأن الاتومبيل والاتوسيكل ينقلان الجنود الى ميادين القتال كما تنقل الطائرات المهندسين والفباط الى المراكز المفتاحية في هذه الناحية أو تلك من القطر المحارب

بل هذه الأرقام التي نقلناها عن الجريدة الأمريكية لا تدل على ما سوف تكون عليه الحرب القادمة من حيث الكم . فان كل امة تزيد قواتها . وتتهبأ ألمانيا لأن يكون لها عشرة الاف دبابة و ٧٥٠٠ طائرة كما ان بريطانيا قد خصت ١٥٠٠ مليون جنيه لزيادة الطائرات والبوارج

وقد كان عدد المدافع في الحرب الكبرى أربعة لكل الف جندي : ولكن في الجيوش القائمة الآن ثمانية لكل الف جندي . وقد تمكن الألمان في الحرب الماضية من ضرب باريس بالمدافع وهم على مسافة ٧٠ ميلا منها والآن يمكن اصابة الهدف على مسافة لا تقل عن مائة ميل . واستطاع الألمان

ان يمتنعوا جهازا لاطلاق المدافع وتمديد الرماية وهم بعيدون عنه محتشئين في الخنادق : وفي اليوم الذي جرت فيه هذه التجربة ونجحت في «المانيا» اعلنت روسيا بالمدافع عن نجاح التجربة الالمانية وهنأت المهندس الذي اخترع هذا الجهاز ثم اعلنت أيضا ان لديها اختراعا آخر افضل من هذا الاختراع

ومعنى هذا ان لروسيا جواسيس تنقل اليها حركات الجيش الالماني وانها تستعد لحرب قادمة استعدادا عظيمًا

والطائرات عنصر جديد في الحروب . وهي تهدد المدنيين اكثر مما تهدد الجيش لأن الطائرة يمكن ان تقطع ٤٠٠ ميل في الساعة . وكل من روسيا والمانيا تعود الشبان النزول بالباراشوت . ويمكن عشرة الاف طائرة ان تنقل في اليوم بهذا الاسلوب نحو خمسين الف جندي يستولون على مفاتيح الميادين الحربية أو يحرّبون السكك الحديدية أو الجسور أو يحطون خلف الجيش المحارب لمنهم تقهره . وبعض الطائرات الآن تحمل اثني عشر طناً . فادقّضنا هذا الوسق مادة بشرية فانها تعنى على الأقل ١٥٠ جندي مجهز باثقل الاسلحة ينزلون من الطائرة في مكان محصن وفي حماية الظلام ثم يكون منهم البلاء بعد ذلك : وهذا بالطبع غير فاصل جهنمية تلقى على المدن والمخازن للتدمير ولبعث الثورة الاهلية

وللغازات شأن اخر يفوق شأن القنابل . فان في الغاز صفات تشبه الحياة لأنه يبقى أياما في المكان وهو يقتل كل من يقترب منه حتى تكتسجه الرياح . وهو لذلك اضر في المدن التي يحتبس فيها الهواء بين الشوارع والازقة مما هو في الريف . وقد كتبت كثيرا من وسائل الاحتماء من الغازات . وكل ما كتب — في رأى البعض — هو هذيان لاقيمة له اذ ليس هناك أية وسيلة للاحتباء من الغازات

وقد بلغ عدد الاصابات في الحرب الماضية

قتلى ٩٤٩٩٨٠٧٧١

جرحى (بخطر) ٦٤٢٩٥٠٥١٢

جرحى (بلا خطر) ١٤٤٢٠٠٤٠٣٩

مفقودين واسرى ومشوهين لا تعرف اصولهم ٥٤٩٨٣٧٦٠٠ قتلى الاقلوزا سنة ١٩١٨ —

١٠٤٠٠٠٠٠٠

فالمجموع هو ٤٦ مايو نا لحرب تعد غير خطيرة اذا قوبلت بالحرب القادمة

## منى نكف عن الابهة الشرقية

أقام المجلس البلدى فى الاسكندرية منذ أكثر من سنتين حماماً مجانياً يدخل فيه الرجل الفقير فيجد الصابون والماء الساخن والبقير الذى يبحث الجميع القوي عن أسم عربى له وهو عند ما يترج ملابسه تؤخذ منه لتبخر أى تعقم وتعاد اليه بعد استحمه . فيخرج من الحمام وهو نظيف جسمًا وملابس

وهذا الحمام هو لون من ألوان البر التى نرجو أن تنصرف اليه الحكومة والأمة معاً . وهو بر غربى يفهمه الاوربى ويدعو اليه رؤس له المؤسسات . ولو كان فى القاهرة بمحوشرة حمامات من هذا الطراز لما عرفنا هذه الحى القاتلة التى تسمى التيفوس والتى لا تحتاج من الوقاية إلا الى النظافة أى قتل القمل . والرجل الذى يفكر فى إنشاء الحمامات وتوقير الصحة للسكان هو رجل متمدد منها كان الحمام متواضعاً خالياً من الزخارف . ولكن الرجل الذى يطالب الابهة الشرقية بالبناء الفخم والزخارف اللامعة والاعتماد على دوى الاسماء هو رجل غير متمدد

فقد حدث قبل أشهر أن أميراً هندياً دعا اللورد للملوك فى الهند الى تناول الشاي ولكى يبدى له احترامه غلى ماء الشاي على ورق البنكنوت فكلفه فنجان الشاي نحو ١٠٠ جنيه فهذا العمل ابهة شرقية سخيفة . وتزداد سخافتها وضوحاً عندما نعرف أن الهند تفرق أمة فى العالم وأن فنجان الشاي هذا كان يمكن أن ينفق ثمنه على أنقاذ بضعة أطفال هنود من الموت . ولا بد أن اللورد للملوك كان أسفا على هذا المال يجرى تحت ابريق الشاي ولكن حياته منعه من أن يبعث على وجه هذا الأمير أو يلطمه على قفاه

ونحن نود أن نكون عقليتنا عقلية المجلس البلدى فى الاسكندرية وليست عقلية هذا الأمير الهندي . أى أننا نود أن نذكر قليلاً حسداً فى مفوضية تفتشها فى الصين أو فى أسم عربى نسى به الملايا ولكن يجب أن تفكر كثير اجداً فى مساكننا القذرة وأطفالنا الذين يموتون كالذباب وفى شبابنا الذين يمرضون ولا يجدون العمل الرابع ، أجل يجب أن تفكر فى التعليم الصحيح لآبناء الريف وفى مكافحة الامراض وفى إيجاد الروح الديمقراطية العملى بحيث يشعر الفلاح أنه من أبناء الأمة لا يختلف من الإفندي فى الحقوق والواجبات . وخير من انشاء مفوضية فى طهران أو بكين أن ننشىء حماماً للفقراء فى السيدة زينب . وخير من أن نسى الملايا باسم عربى

أنت نعالجها

إننا أمة فقيرة بل غاية في الفقر المدقع وليس في طاقتنا أن نتحمل طادات الابهة التي دهانا اليها المستبدون في الماضي . وحسبنا من هذا الفقر المدقع أننا أصبحنا كلها مرضى لا يكاد يبلغ الاصحاء بيننا عشرة في المائة بل لعلهم أقل من ذلك اذا حسبنا أمراض العيون . وهذا الفقر ( الذي يجعل طعامنا الوطني الذي يأكله منا نحو اثني عشر مليون مصري هو البصل والذرة ) يتضح على أشنعه حين نقابل بين ثروتنا وبين ثروة أمة أخرى مثل استراليا . ففي هذه القارة نجد ستة ملايين ونصف من السكان يزرعون ... و ٤٠٠ ر ٢٢ فدان أي أربعة أضعاف ما نزرع . وعندهم ... ر ٢٣ مصنع و ... ر ٢٧ ميل من السكك الحديدية . وقد استطاعوا أن يتفوقوا في الحرب الكبرى ٨٣١ مليون جنيه مع أن مائة مليون حنفيه جعلتنا نقلس في أيام اسماعيل . وهم يحصلون من الذنم وحدها على ما تبلغ قيمته ٤٣ مليون جنيه من الصوف . ويعنون العالم بالقمح . ويبيعون من الزبدة ما تبلغ قيمته ٢٠ مليون جنيه . وهذا غير مشتقات اللبن الأخرى وغير اللحوم وغير المعنوعات . ومع هذه الثروة الضخمة لا تفكر استراليا في منشآت الابهة التي شاعت عندنا ولكنها تفكر في التأمين الاجتماعي لمساكنها حتى لا يجوع عاطل وهي تفتش الهياكل التي لا تسمح لأحد العمال بأن يربح أقل من ١٥ جنيهاً في الشهر . وقد استطاعت استراليا بهذا التفكير الديمقراطي العملي ان تنزل بالوفيات عندها الى أصغر رقم

ان خيالنا من المجد الوطني فاسد . لاسا لن يكون أمة عظيمة بالابهة بل نكونها بالخدمة . فلتكن لنا برامج لتحقيق المجد الوطني . منها برنامج لتعميم النظافة بإلغاء الحمامات المجانية . وبرنامج لترقية الطعام من الذرة والبصل الى القمح والدجاج . وبرنامج لهدم المنازل القديمة وإنشاء المنازل الجديدة وبرنامج لتعميم الاحذية بين الحفاة . وبرنامج لإطعام اللبن بالهجان لتلاميذ المدارس الخ ولو فعلنا ذلك لما بقي شيء نفقه على الابهة الشرقية التي لم يبعثها بيننا غير الخيال العاسد الذي لم تخصصه ثقافة ولم تمدّه المبادئ السخية للروح البشرية

## الفرض من تخمير النسل

لكي نكافح الموت في مصر يجب أن نحدد النسل وندعو الامهات من الاقلال من الحمل فان الموت لا ينتشر في العالم كله كما ينتشر في مصر أي أنه ليس في العالم كله أمة - حتى ولا الهند - يموت فيها الناس بمقدار ما يموتون في مصر . والسبب لذلك اننا ذلذ كثيرا فيموت أطفالا كثيرا



فدعاة التحديد للنمل لا يقولون بهذه الدعوة للفرق أو لفة الوطنية أو لخائفة الدين بل لعنده هذه الاشياء بالذات . فانهم يطلبون هذا التحديد لانهم ينظرون الى انتمل نظرة جدية بعيدة عن المجانة ولأن الروح الوطنى بل الروح الدينى قوى فيهم بحيث لا يطبقون رؤية الموت منتصرا بين بين أبناء وطنهم .

وم لا يبنون هذه الدعوة على الكلام القصيح والعبارات البليغة بل على الاحصاءات الدقيقة فان بلادنا أكثر اقطار العالم مواليد وهى أيضا أكثرهن وفيات . واليك هذه الأرقام التالية التى تدل على متوسط المواليد فى كل ألف من

السكان بين ١٩٢٦ و ١٩٣٠

مصر ٤٤ر٤

الهند البريطانية ٣٥ر٧

اليابان ٣٣ر٤

إيطاليا ٢٦ر٨

الولايات المتحدة ١٨ر٧

فرنسا ١٥ر٣

أسوج ١٥ر٩

فن هذه الأرقام يتضح أننا نلد أكثر مما يلد الاسوجيون ثلاث مرات تقريبا أى أن الام فى مصر تلد ثلاث ولادات لكل ولادة واحدة تلدّها الام الاسوجية

ثم ماذا يكون بعد ذلك ؟ لو كان هؤلاء المولودون يعيشون وينالون من التربية - تربية الجسم والنفس والعقل - مثلما يناله المولودون فى أسوج أو غيرها لكان لنا أن نفتبط وأن نقول أن جهد الامهات فى مصر يشتر الثمرة الصالحة . ولكن الحال عكس ذلك . ويكفيك أن تنظر فى الأرقام التالية عن الوفيات فى كل ألف من السكان

مصر ٢٦ر٢

الهند ٢٦

اليابان ١٩ر٥

إيطاليا ١٦

الولايات المتحدة ١٢

فرنسا ١٦ر٧

أسوج ١٢ر١

فنحن أكثر أقطار العالم وفيات لأن كثرة النسل تجعل عناية الأم تقل بأبنائها وجهدها فضلا عن مالها - ينصرف الى الكثير من الاولاد فيتبعثر بدلا من أن ينحصر في عدد صغير فيؤدي الى النتيجة المعمودة . ثم تنعطف بعد ذلك صحة الام التي يمجز جسمها في كثير من الحالات عن تحمل مشاق الحمل المتوالي . بل هي قد يذهب جمالها لهذا السبب نفسه فتتراجع العلاقة الزوجية . وإذا لم يعت الطفل فانه ينفشأ في بيئة يحوطها الضيق الاقتصادي الذي كان يكون رخاء لو كان عدد الاولاد قليلا . وهذا الضيق الاقتصادي يجعل الآباء عاجزين عن تربية أبنائهم سواء في المدرسة أم في البيت وسواء تربية الجسم أم تربية العقل والنفس

والمتمامل لهذه الارقام يجد تقابلا . فانه حينما تزيد المواليد تزيد أيضا الوفيات وحينما تقل تلك تقل هذه . ولا سبب لذلك الا أن الجهود تتوافر في العناية بالقليل وتتبعثر في العناية بالكثير . وخير لمصر ان تتشبه بفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة وأسوج من ان تتشبه بالهند والصين وسائر الامم التي يحتاجها القمع

فيجب ان نعلم الناس الطرق السليمة لمنع التناسل . وقد قامت حكومتنا بشيء من هذا المنع أو التعديد عندما عينت سنا للزواج لا يمكن ان يتم العقد الشرعى دونها . فان تأخير الزواج يقلل النسل ويزيد العناية به مما

ولكن تعميم الثقافة الجنسية التي تعرف الشباب طرق المنع تجرئهم على الزواج الذي يخافونه الآن خشية كثرة العيال . فتعديد النسل هو من هذه الناحية دعوة الى الزواج كما هو دعوة الى صحة الامهات والى مكافحة الموت - هذا الموت الذي لا يجد ارضا في العالم ينتصر فيها كما ينتصر في مصر

## مصر في عصبة الامم

كان يوم فوز للعصبة ويوم فوز لمصر . . فاما العصبة فقد وجدت بعد مأساة الحبشة بل على الرغم من هذه المأساة انها لا تزال معدودة امام العالم أملا بحسباً للتضامن البشرى والسلام العام وأما مصر فلانها قد اكتسبت بالمعضوية مكانة جديدة ليس في اعتبار الدول فقط بل في اعتبار نفسها كدولة مستقلة تحترم نفسها ولا ترضى سوى المنزلة العليا بين اقطار العالم

ومركزنا الجديد في سويسرا هو خطوة بل خطوات الى الامام . فان سويسرا قد اختيرت دون سائر اقطار أوروبا لكي تكون وطناً لعصبة الامم التي تدعو الى تغليب العالمية على الوطنية . وانما اختيرت لذلك لانها أمة عالمية مختار بثلاث لغات وطنية وبانها كانت ولا تزال وطناً للحرية عاش فيها

فولتير هاربا أحيانا من وطنه كما عاش فيها احرار الروسيين الذين كانت تطاردهم القيصرية . بل لقد عاش ومات فيها مجد فريد بك لاجئا اليها من طغيان الاستعمار . وقد كانت ولا تزال رمزا للتضامن الاجتماعي بين الدول اذ لم تعتمد قط على قوة جيشها لحماية ارضها مع أنه تحيط بها ثلاث دول قوية هن ايطاليا وفرنسا والمانيا . وكل واحدة منهن قادرة على اكتساحها في اقل من اربع وعشرين ساعة . وانما تحتفظ سويسرا باستقلالها بما يشبه هذا التضامن البشري الذي تدعو اليه العصبة القائمة في جنيف والذي كانت سويسرا تقوم على مبادئه قبل انشاء العصبة

وانضمامنا الى العصبة سينتقل بنا من النظر القروي للسياسة الى النظر العالمي . بل اننا سوف ننظر الى مشاكلنا الداخلية في ضوء الاصلاحات الاجتماعية الحديثة وعلى مبادئ الروح المعنوية واسوأ ما ننظر به امة الى نفسها هذا النظر القروي الذي يملأها زهوا كاذبا ورضا عن حالها مها كانت شقية . فانها بهذا النظر تنعزل عن العالم وتعيش في انفراد ذهني فلا تشترك في حركة الرقي العام بل هي تنظر الى هذه الحركة كأنها بعض البدع الكريهة التي يجب ان تنفر منها . وقد كنا الى حد ما في هذا الموقف لا تشارك الامم المتقدمة في نهضاتها

واقرب مثال على ذلك هذا النفور العنيف من الحرية الفكرية وهذا الخوف من اتخاذ القبيحة بل هذه القناعة بالآداب العربي كأنه الموسوعة الكاملة للذهن البشري . فان هذه الاخلاق انما تنشأ من الانعزال وقد اطلقنا عليها وصف «النظر القروي» لانها اخلاق سكان القرية الذين ينحصر نظرهم للدينا في حدود قريتهم

وانضمامنا الى عصبة الامم جدير بان يوسع آفاقنا الذهنية ويجعلنا نفكر في السياسة والاجتماع والآداب ونقيسها بالمقاييس العالمية المتقدمة وان تمحو عواطنا الى قبول الآراء المختلفة مها كانت غريبة عن عاداتنا وألوفنا وان نتخذ الطرق التي اتخذتها الامم في معالجة مشاكلها دون ان نسمع لقول المعارضين . هؤلاء غريبون ونحن شرقيون . فان عصبة الامم قد انفتحت لالغاء مثل هذا الاعتراض ولتعميم مبدأ التضامن البشري لافرق في ذلك بين غربي وشرقي . واقل نتائج الانضمام للعصبة أننا حين نطلب اصلاح المساكين أو العناية بالغذاء لعمالنا فاقبالن نواجه بالاحتراس القائل بان البيئة الاوربية غير البيئة المصرية . فانتا قد اصبحنا مرتبطين بمكتب العمل — الذي هو فرع من فروع العصبة في جنيف — ومن الحسن ان تأخذ حذرنا ونصلح الاحوال التي يعيش فيها اعمالنا قبل ان ينشر هذا المكتب عنا تقريرا واضحا يطالبنا فيه بالاصلاح

وبعد هذا سنجد من عصبة الامم ضامنا لنا بمنع الدولة المجرمة من الاعتداء علينا . ولما نجعل أن هذا الضمان تعوزه القوة المادية كما حدث في الحبشة ولكن له قيمته مع ذلك . كما ان الاعتداء

على الحبيبة قد كان بمثابة التجربة الاولى التي ينتفع بها للمستقبل والتي تستفاد منها الدروس للمبرة  
كما ان انضمامنا للعصبة قد فرض علينا واجبا للعالم هو صيانة السلم العام . وفي طور العام الحاضرو في  
ظروفنا المحيطة نعتقد اننا نخدم هذا السلم أحسن الخدمة اذا نحن عينا بتقوية الدفاع عن وطننا  
فان هذه التقوية تقلل من مطامع السياسيين الذين جنوا بالمذاهب الامبراطورية  
وهناك شيء آخر يستحق الالتفات فان عصبة الامم يناقض وجودها للسياسة الدبلوماسية التي  
تقوم بها المفوضيات . ذلك أن العصبة للصراحة والعلمية والسلم . والمفوضيات كانت ولا تزال وسيلة  
السياسة المظلمة السرية . وما دمنا قد انضممنا الى العصبة فاننا يجب أن نقلل من شأن الاهتمام  
بالمفوضيات



# فهرست

يوليه سنة ١٩٣٧

٣	سير الحوادث
٩	حركة الشباب المتلربين
١٢	شباب الامة والملك الشاب . . . . . لرئيس شحاته
١٦	ذكرى مجلس الشراب . . . . . لحافظ ابراهيم
١٧	عقيلة الطربوش وعقيلة القبعه . . . . . لصالح الدين كامل
١٩	القراعة فى انجلترا . . . . . لسلامه موسى
٢٥	المجرم . . . . . للدكتور حسن صادق
٤٤	الثقافة التناسلية وبعض رواها . للدكتور صبرى جرجس
٥٤	فرح انطرت . . . . . لاسعد حسنى
٥٩	السيكلوجية بين العمال . . . . . كتاب انجليزى ملخص
٧١	كتب الشهر الجديدة
٧٧	فى الحياة والعمل لسلامه موسى

## ❧ الاشتراك فى هذه المجلة ❧

مصر والسودان سنة كاملة ٤٠ قرشاً وستين ٦٥ قرشاً و ٣ سنوات ٩٠ قرشاً  
 وخارج القطر ( داخل الاتحاد البريدى ) ١١ شلناً لسنة و ٢٠ شلناً لستين و ٣٠ شلناً  
 لثلاث سنوات

يرجى إضافة ١٠ قروش ( شلنين ) فى السنة لىكل مشترك خارج الاتحاد البريدى

١٢ شارع نوبار ( مكتب بريد الدواوين ) مصر